

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

21

سلسلة الدراسات الحضارية

التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلاميّة

الشيخ محمّد مهدي الآصفي


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

التحديات المعاصرة

ومشروع المواجهة الإسلامية

محمد مهدي الآصفي

التحديات المعاصرة

ومشروع المواجهة الإسلامية

ويلحقه

مشروع الوحدة الإسلامية ثقافياً وسياسياً

والأمة الواحدة في مواجهة الفتنة الطائفية



المؤلف: محمد مهدي الآصفي
الكتاب: التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية
المراجعة والتقويم: فريق المراجعة في المركز
الإخراج: محمد حمدان
تصميم الغلاف: حسين موسى

الطبعة الأولى: بيروت، 2008

the Islamic Project
And
Contemporary Challenges



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي
Center of civilization
for the development of Islamic thought
بناية الصبّاح - شارع السفارات - بئر حسن - بيروت
هاتف: 826233 (9611) - فاكس: 820387 (9611)
Info @ hadaraweb.com
www.hadaraweb.com

الفهرس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾

[العنكبوت: 1 ـ 3]

مقدّمة المركز العلمي

منذ أن صدع النبي الأكرم (ص) بالأمر الإلهي، وجهر بالدعوة إلى الناس، والإسلام يتعرض لأشكال متنوّعة من التحدّيات من قبل أطراف مختلفة، وعلى كافة الأصعدة.

فقد مارست قريش إبّان ظهور الإسلام أنواعاً من الضغط والتنكيل ضد أتباع هذا الدين الجديد، واتّخذت وسائل إعلامية عدّة في سبيل تشويهه، ومحاولة تضليل الناس عنه، ومن ثم تمادت في إجراءات التصعيد باستخدام السلاح للحيلولة دون انتشاره، ودفعه باتجاه الانحسار والتلاشي.

ولمّا أعيتها الحيلة اضطرّت إلى عقد التحالفات مع أطراف أخرى أجنبية كانت تقطن حوالي المدينة، فتشكّلت إثر ذلك جملة من المعاهدات على هذا الصعيد، من أجل تنسيق العمل المشترك الرامي إلى تحقيق الحدّ الممكن والفعّال من تحدّي ومقاومة الزحف المخيف الذي كان يشكّله الإسلام آنذاك.

وضمن متطلّبات المرحلة الراهنة في ذلك الوقت، والظروف التي كانت محيطة بالجزيرة العربية، دفعت بمجموعها قريش إلى أن تبذل

جهداً أكبر لقمع الإسلام ومؤيديه، من خلال طلب التعاون من دول الجوار التي لم ترغب في انتشار الإسلام في أراضيها، وجلب المساعدات في هذا الإطار، واستخدام أبواق الدعاية والإعلام لبثّ الأراجيف، وخلق البلبلة في ذهنية المسلم الجديد.

كما وجدت هذه الأطراف العديد من الأسباب التي تضفي أهميةً على مسألة تقديم الدعم والمساعدة لقريش في صراعها مع الإسلام، وضرورة بقاء الوجود «القريشي» في الجزيرة العربية، فمضت بالاندفاع باتجاه تفعيل القوى «المشتركة» في المنطقة، وشنّ الحملات الدعائية ضدّ الإسلام والمسلمين في العديد من المنابر الأدبية والإعلامية، بصيغة فجّة تارة، ومريبة أخرى، من أجل التأثير على الناس، ومنعهم عن الدخول في هذا الدين.

ونقطة أخرى لا تقلّ أهميةً نشير إليها، بصدد تجسيد صورة التحدّيات التي اتّخذها الأعداء والمخالفون ضد الفكرة والعقيدة الإسلامية، وهو طرح نموذج التحدّي الجدلي في الأوساط الفلسفية والكلامية الإسلامية، والمعاكسة الفكرية في الحلقات العلمية، غايتها إيجاد اللغط والفوضى في الذهنية المسلمة، والاضطراب والتشويش في الرأي العام، من خلال استخدام نماذج من الدعايات المغرضة، والشبهات الموهومة، وتمرير مخططاتهم عبر وجوه أو أقلام معروفة أو شخصيات سياسية من خلفاء أو أمراء أو قضاة أو غيرهم، ونقل الوقائع إلى الخارج على أنها هفوات وأخطاء هذا الدين الجديد!

ولعلّ أغلب متتبّعي الشأن الإسلامي، من المؤرخين والمحقّقين، يجدون يوم المباهلة «منعطفاً» تاريخياً في توجيه ضربة مؤلمة للإسلام، حينما شدّ مجموعة من النصارى الرحال باتجاه المدينة، ومحاولتهم البائسة في مواجهة شخص الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته (ع)، والنيل من هذا الدين الحنيف.

ولم تنقطع المحاولات في هذا الاتّجاه من أطراف اليهود أيضاً، والوفود القادمة من شرق الجزيرة وغربها من أجل تحدّي هذا الفكر الذي أبهر قلوب أتباعهم ومواليهم.

بل لم تأل بعض الأطراف السياسية في وقتنا الحاضر جهداً من استخدام هذا الأسلوب في سبيل قمع الإسلام، والاستعانة بالخبرات «الإسرائيلية» في سبيل تكريس فكرة كون الدين مجرّد طقوس تؤدّى بصفة روتينية ويومية، ولا علاقة له بالسياسة والحكم! أي أنّه لا يعدو كونه مجموعة من الممارسات التي تقام للتبرّك، تمسّ الإنسان في أوقات محدّدة!!

إنّ هذا النموذج الذي يحاول الأعداء تصويره في ذهنية الرأي العام الإسلامي، وتصديره على كونه دين الإرهاب والقسوة إلى جميع أنحاء العالم الآخر، يمثّل ـ بلا شكّ ـ نموذجاً جامداً ومشوّهاً للإسلام وفكره الوقّاد، الذي لم يستطع الكاردينال الفرنسي الشهير بول بوبار من كتمان رأيه في حوار أجرته معه يومية «لوفيغارو» فقال: الحقيقة أنّ الإسلام يمثل نموذجاً معيشياً رائعاً يمس جميع جوانب حياة الفرد.

وأضاف: ومن هنا يكمن التحدّي الذي يفرضه الإسلام على المسيحية في أرض المسيحية!!

ومع تطوّر وسائل العصر، ظهرت صيغ جديدة من التحديّات المناوئة للإسلام، وازدادت شراسةً وخطورة، مستخدمة في ذلك تكنولوجيا الاتصالات المتقدّمة والشبكة المعلوماتية العالمية، والأجهزة ذات التقنية الحديثة، والمدعومة بإمكانات مادّية وبشرية هائلة!

وباتت صورة الإسلام في النموذج العدائي الجديد، والمطروح

عبر وسائل الإعلام الأميركية والأوربية، لا تختلف عنه في الصورة القديمة، وزادت عليه أن صنّفته في خانة الأديان البدائية، ومن ثم الإرهابية!! وأنّه الدين الذي يتعارض مع الحضارة الجديدة للإنسان!!

ففي مقال لبيير جرين دورتون الصحفي الإنجليزي المعروف يحمل عنوان: «الوجه القبيح للإسلام»، ونشرته صحيفة الصنداي تايمز عام 1991م، يصف فيه الإسلام بالعدوّ البدائي الذي لا يستحقّ إلا الإخضاع والتدمير!!

ثم لم يلبث أن نشرت صحيفة فاينشال تايمز مقالاً آخر له يدعو فيه الغرب إلى تشجيع الاتجاهات الديمقراطية في العالم الإسلامي، بعلّة كون الأنظمة التي تحكمه استبدادية وبدائية!!

وبهذه الصورة المزيفة ساهم الإعلام الغربي المعادي في إقناع الرأي العام الغربي والتأثير عليه، وتوجيهه بشكل مغلوط ورهيب لدعم مخططات الدوائر الاستعمارية التي تقف وراء هذا الإعلام، وتموّله من أجل تحقيق أهدافها العدوانية المكرّسة ضد الإسلام وأهله.

وباستعراض سريع لما ذكرته ونشرته وسائل الإعلام في عدد من الدول الغربية، كبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا.. حول حادثة 11 سبتمبر/أيلول مثلاً، يتّضح لنا مدى الافتراء على الواقع، والمحاولات الرهيبة في طمس الحقائق، وتوظيفها في خدمة الصهيونية العالمية.

وعلى هذا الامتداد الأراجيف التي تطلقها وسائل الدعاية الأمريكية تجاه حقّ إيران الإسلامية من الاستفادة من الطاقة النووية لأغراض سلمية، ومحاولتها قلب الحقائق من دون واعز ضمير أو خلق إنساني.

ولا تزال وسائل الاتصال والدعاية في العالم الغربي تشنّ حرباً ثقافية شعواء ضد المسلمين ونبيّهم الأعظم (ص)، ابتداءً من الكتب الدراسية والسينما والمسرح، ومروراً بالأعمال الكاريكاتورية المروعة والرسوم الساخرة التي تمسّ ساحة الرسول الأعظم (ص)، واللوحات التي تضمها قاعات العرض والتي تتّهم المسلمين جميعاً: شيعيّهم وسنّيهم بأنّهم إرهابيون وسفّاحون! ووصولاً إلى الكتب التافهة التي كتبها مغرضون... من أجل تكريس الصورة النمطية السابقة في ذهنية وخيال الرأي العام تجاه الإسلام والحضارة الإسلامية.

إنّ هذا الأدب «الاستعماري» يساهم في تعزيز هذه الصورة التي تجسّد المسلمين أُمةً شاذّةً! ويعيد إلى الذاكرة أقوال أسلافهم التي تربط المسلم بمفردات من قبيل: الصحراء، الجمل، الغزو، تعدّد الزوجات،... ليزيد من فزع الإنسان الأوربي، ويلقّنه الدور الذي ينبغي أن يلعبه في خضمّ هذه الحرب «الوطنية» و«المقدسة»!

ولا شك أنّ هذا الأدب، وهذه المفردات التي تتداولها وسائل الإعلام والدعاية، من شأنه أن يعزّز النظرة الصهيونية المطروحة في العالم الغربي، وهو أنّ الإسلام وكلّ ما له صلة به مصدر تهديد للحضارة الإنسانية المعاصرة!!

والمتتبّع لتصريحات مسؤولي البيت الأبيض بعد حادثة 11 سبتمبر يجد هذا اللحن جليّاً، ويلمس بوضوح الحملة الدعائية التي تسعى إلى الربط بين الإسلام والإرهاب، القرآن والعنف، وهو ما يصطلح عليه بـ «إسلاموفوبيا» Islamophobie.

فقد دخلت هذه الكلمة قاموس السياسة الأوربية، وتحوّلت إلى مفردة لها معان محدّدة، يُراد منها الإشارة إلى طرف معيّن، كما حصل في القرن التاسع عشر مع مفردة «اللاسامية»!

وتحت مفردة «إسلاموفوبيا» وهي كلمة يقصد بها الإرهاب الإسلامي، بدأت تعقد المؤتمرات السياسية، وتدار الندوات الفكرية للبحث في سبل معالجة «المخاوف» من الإسلام والمسلمين، وتشخيص أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية و...

وحادثة 11 سبتمبر/أيلول كانت بمثابة الفرصة «الذهبية» المؤاتية لأصحاب القرارات السياسية في العالم الغربي، ورجال اللوبي الصهيوني العالمي، لكي يمرّروا خطاب الاستعلاء والاستكبار، والتجاوز والاحتلال، والردّ بصورة ضربات عسكرية مباشرة، أو بحصار اقتصادي ظالم، أو بتفعيل عوامل الضغط السياسي عبر مجلس الأمن وأروقة الأمم المتحدة، ضد البلدان الإسلامية التي ترفض الانصياع لسياسة البيت الأبيض.

ويخطئ من يظنّ أنّ جذوة العداء الغربي الصهيوني المشترك للإسلام قد تخبو في فترات من الزمن، ولا تضطرم إلا نتيجة وقوع حوادث من شأنها أن تصبّ الزيت عليها، بل إنّ الجذوة ملتهبة دائماً، ووتيرة العداء والتحدي في تصاعد مستمر، لكن الأمر يتعلّق بضرورات المرحلة، والاختلاف إنّما هو في الأسلوب والمنهج، ونوعية الوسائل المستخدمة في هذا الإطار، وغير خفيّ على المرء دور الوقائع والحوادث، ثم تهويل نتائجها، في ارتفاع حدّة المواجهة وسخونة التحدّي، واشتداد آثارها المنعكسة على العلاقات القائمة بين الغرب والعالم الإسلامي، والتي تترجمها الصفحات الأولى من الصحف والمجلات الواسعة الانتشار في العالم.

ومن جهة ثانية لا يمكن أن ننفي أنّه لم تخل الصحافة الغربية من مقالات موضوعيه تعكس وجهة النظر الصحيحة، وفي الوسط الثقافي الأوربي من شخصيات معتدلة ومنصفة، تستنكر طبيعة هذا

العداء، وتدعو إلى المصالحة وتسويه الخلافات بالحوار البنّاء بين الحضارات والأمم.

والنماذج غزيرة على هذا المستوى من التناول.

غير أنّ السؤال هنا: هل على المسلمين الاتكاء على مبادرات هذه الشخصيات الغربية أو الشرقية المعتدلة في نطاق مواجهة تحديات الغرب؟

وهل المسلمون بحاجة إلى من يملي عليهم مشروعهم الحضاري لمواجهة التحدّيات المعاصرة؟

إنّ الأوان قد آن لتأسيس استراتيجية إسلامية متحركة، تنطلق من صميم الفكر القرآني الأصيل، وتستمدّ روحها من تراثنا المجيد الذي خلّفه لنا رسولنا الأعظم (ص) وأهل بيته الطيّبون الطاهرون (ع) والصحابة المنتجبون، وأسلافنا العظماء الذين حملوا لواء الإسلام وانطلقوا بعيداً حتى دقّوا أبواب أوربا، واجتازوا سور الصين العظيم.

وينبغي الالتفات إلى عنصر الوحدة والتعاون في هذا السياق، إذ لا يخفى على أحد دور الوحدة الإسلامية في دعم كل خطوة يمكن أن يقدم عليها المسلمون، فهي العنصر الأساس الذي يمكنه أن يقدّم النموذج الأفضل من الدعم اللوجستي للمشروع الحضاري الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة الشرسة، وإن لم يحرّكوا ساكناً في إطار إنشاء مشروع إسلامي مناسب لمواجهة هذه التحدّيات، نقول: من الغريب أن يحدث هذا ولم يلتفتوا إلى ترتيب «البيت» الإسلامي، ومعالجة أبرز سلبياته، وعلى رأسها هذا التشتّت والفرقة اللذان يضربان بجذورهما في عمق الأمة، وهذا التناحر والاختلاف اللذان يهزّان الوجود الإسلامي برمّته!

إنّ وحدة الكلمة والتقريب بين المذاهب الإسلامية، ورفض

الموانع المصطنعة بين النخب، وفتح القنوات بين أطرافنا الإسلامية الرشيدة، تعدّ الخطوة الأولى باتجاه تأسيس مشروع يناسب المرحلة الراهنة يشارك في وضعه جميع المسلمين لمواجهة التحدّيات المعاصرة بكلّ صورها وأشكالها.

وهذا ما يؤكده سماحة آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي في كتابه القيّم هذا. ففي الوقت الذي شدّد على كون التحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين اليوم، من إرهاب مدمّر وعولمة وتطرّف ديني واحتلال وما شاكلها، إنّما سببها الاستعمار الغربي ووجوده البغيض في بقاع من عالمنا الإسلامي، وما أفرزه وجوده من معطيات انعكست آثارها على الأوضاع في المنطقة ككلّ، فهو يدعو المسلمين إلى التكاتف، والتفكير الجدّي بمشروع عملي وصميمي يتصدّى للتحديات التي يفرضها الغرب وأذنابه على المسلمين.

فهي دعوة موجّهة إلى كلّ من يهمّه الأمر، ولا يعني بها طائفة دون أخرى، أو بقعة محدّدة دون أخرى من بقاع عالمنا الوسيع. والدعوة إلى الوحدة إنما هي من صميم الاستراتيجية التي يتطلّع إليها جميع المسلمين.

ولا بدّ من التنويه على أن هذه الأفكار الساخنة كان قد طرحها سماحته في أكثر من مناسبة من على منصّة الخطابة، ضمن كلماته التي كان يلقيها على تجمّعات المثقفين المؤمنين في إيران وخارجها، مستعرضاً ـ كغيره من العلماء ـ التطوّرات الحاصلة في أوضاع المسلمين بين الفينة والأخرى.

وفي كلمة ألقاها في تجمّع من الأفاضل والكتّاب والمثقفين كان قد نظّمه «مرفأ الكلمة: للحوار والتأصيل الإسلامي» في مقرّه بقم المقدسة، أشار إلى جملة من الأفكار في هذا السياق، فوجد الإخوة

الأمناء العاملون ضمن «المرفأ» حسّاسية الأفكار، وأنّها تجدر بنشرها لتعمّ الفائدة الجميع، بعد أن رأوا فيها مادة يمكن أن تساهم في رفد الآفاق الفكرية والثقافية الإسلامية المعاصرة، ورصداً للتطورات التي تدخل في نطاق اهتمامات «المرفأ» المبارك.

فقاموا بإنزال كلمته القيّمة على الورق، وصياغته بما يتواءم وأسلوب الطباعة الحديث، فجزاهم الله جزاء المحسنين.

ونظراً للحاجة الماسّة إلى تجذير الوعي الثقافي والفكري لأبناء الأمة، تبرز ضرورة متابعة التطوّرات في الساحة الإسلامية والعربية، ورعاية المصلحة الإسلامية العليا التي فرضت على كلّ المراكز والمؤسسات العلمية والثقافية الإسلامية أن يلتزموا موقفاً إيجابياً تجاهها، وهداية الناس إليها بالكلمة الطيّبة والإيحاء الصادق، وينشروا ما هو خليق بنشره، فقد قام مركزنا العلمي التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بمدّ يد العون إلى هذا المشروع الثقافي الأصيل الذي من شأنه أن يخدم أهداف التقريب، ويسهم في إبراز المحبّة والمودّة بين أطراف المسلمين.

فنهض مركزنا إلى طباعة ونشر هذا الكتاب القيّم الذي يحتوى على أفكار مشوقة، وعلى مستوىً جديد يلائم ذوق العصر الحديث، موضوعاً وأسلوباً، وجدير بأن ينال من القرّاء الحظوة من التقدير.

إننا في حاجة إلى دراسة واقعنا الراهن دراسة عملية وموضوعيةً دقيقة، تتناسب والتطوّرات الحاصلة في العالم، وفي حاجة أشدّ إلى إنشاء مشاريعنا المقابلة لمشاريع «الآخرين»، وعلى مستوى كبير من القبول والنجاح، من أجل حماية ديننا ووجودنا ورموزنا المقدسة.

ومن هذا المنطلق فقد سعى مركزنا إلى تقديم الأفضل في طبع

هذا الكتاب بحلّته القشيبة، واخراجه بصورة جميلة ونشره بما يتناسب وأهمّيته في وقتنا الحاضر.

وفي الوقت الذي نثمّن جهود الأستاذ المؤلف على متابعاته الدائمة في الشؤون الإسلامية، وحرصه على تبيين الموقف تجاه الأحداث الدائرة في الساحة عموماً، فإننا نقدّم خالص الشكر والتقدير لـ «مرفأ الكلمة» والعاملين فيه، الذين أبدوا تعاوناً كبيراً في هذا السياق، وهو امتداد لنشاطاتهم على صعيد نشر الكلمة الصادقة والطيّبة في الأوساط الإسلامية، ورصد الأفكار التي تدخل في هموم الرسالة، وليس هذا بغريب ونحن نجدهم الطيف الأكثر نشاطاً من المثقفين الذين استوعبوا هموم الرسالة بجدّ وعزم منقطعي النظير، فجزاهم الله خير الجزاء.

نسأل المولى القدير أن يوفّقنا إلى تقديم الأفضل، وخدمة الإسلام والمسلمين، وترجمة رغبتنا الصادقة في تصعيد الوحدة والتقارب بين أطراف المسلمين، من أجل إسلام قوي مقتدر، ينشر حضارته في أرجاء العالم كلّه.

مركز التحقيقات والدراسات العلمية
التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

كلمة المؤلف

لا نزال بحاجة إلى حوار ونقاش ومطارحات كثيرة في الشأن السياسي والثقافي للعالم الإسلامي؛ لإغناء الثقافة السياسيّة المعاصرة، ومن أجل إثراء الشارع الإسلامي والقاعدة العريضة لمجتمعنا بالثقافة السياسيّة.

ومن دون هذا وذاك لا نتمكّن من مواجهة التحدّيات التي تواجه العالم الإسلامي، السياسية منها والثقافية والاقتصادية.

ولكي نواجه هذه التحدّيات بكفاءة وقوّة نحتاج إلى ثقافة سياسية ومشروع سياسي وخطاب سياسي، واضح المعالم والأهداف.

ونحتاج إلى أن يتبنّى هذا الخطاب والمشروع جماهير الأمّة والقاعدة الاجتماعية العريضة لها.

ونحتاج إلى جهد كثيف لبسط الثقافة السياسية على الشارع الإسلامي، وعدم الاقتصار على وجود الوعي السياسي لدى نخبنا المثقفة، لأن عبء المقاومة والمواجهة والتحدّي يقع أخيراً على عاتق الجمهور، وهو الذي يدفع ضريبة المواقف والمشروع، فلا بدّ

أن يملك الثقافة الموفية والحركيّة والسياسيّة التي تمكّنه من لعب هذا الدور التاريخي الكبير.

وهذه المقالة جهد متواضع في هذا السبيل، والله تعالى ولي التوفيق.

محمد مهدي الآصفي

النجف الأشرف/ جمادى الثانية

١٤٢٦ هـ

الفصل الأول

التحدي والتحدي الآخر

التحدي والتحدي الآخر

ميلاد التحدي

اقترنت ولادة هذا الدين منذ أول يوم بموجة من التحديات المتبادلة بين أنصاره وخصومه.

وكانت هذه الموجة في الأيام الأولى محدودة في منطقة ظهور هذا الدين في الجزيرة العربية، ولكن لم يمض على ظهور الإسلام في الجزيرة العربية خمسون عاماً حتى اتسعت دائرة هذه التحديات، وتجاوزت الجزيرة إلى الساحة المعمورة من الأرض، وشملت كل الحضارات والكيانات السياسية والحضارية القائمة يومئذٍ على وجه الأرض.

ثم امتدت هذه التحديات ـ على امتداد العصور ـ عصراً بعد عصر على مساحة الأرض كلها بين أنصاره وخصومه.

ولست أدري ماذا في هذا الدين حتى يثير كل هذه الأمواج العارمة من التحدي على امتداد التاريخ كله، وعلى امتداد كل الجغرافيا السياسية والحضارية على وجه الأرض؟

التحدي الكبير

كانت كلمة (**لا إله إلاّ الله**) هي التحدي الكبير الذي رفعه هذا الدين في أوساط الجاهلية.

فقد تضمنت هذه الكلمة بشطريها أوسع تغيير وهدم وبناء في حياة الإنسان السياسية والثقافية.

تضمن الشطر الأول من هذه الكلمة إلغاء كل سيادة وحاكمية على وجه الأرض في (التشريع)، (التنفيذ) و(القضاء).

وتضمن الشطر الثاني من هذه الكلمة حصر الحاكمية، والسيادة، والسلطة في حياة الإنسان في الله تعالى، ومن أذن له الله بالولاية والسيادة في حياة الإنسان، في كل المساحات الثلاثة (التشريع، والتنفيذ، والقضاء).

وقد أدرك أقطاب الجاهلية ـ من اليوم الأول ـ هذا العمق العجيب، والتغيير الهائل الذي تحمله هذه الكلمة في حياة الناس، إنها تتضمن عملية هدم وتخريب واسعة لكل الحاكمية والسيادة القائمة على وجه الأرض، من دون الله، ولكل الحضارات والثقافات القائمة على وجه الأرض، من دون الثقافة والحضارة النابعتين من مصادر الوحي.

وتتضمن في الشطر الثاني تشييد كيان جديد قديم في حياة الإنسان في السيادة والحكم والتشريع والثقافة والحضارة، تعتمد التوحيد المطلق لله تعالى في كل سلطان وسيادة وحكم وتشريع وتثقيف.

التحدي الآخر

لقد أدرك أئمة الجاهلية يومئذٍ هذا العمق العجيب لهذه الكلمة، فلم يترددوا في إعلان الحرب بوجه هذا الدين ومواجهته ومقارعته

بكل الوسائل والتحديات الممكنة لهم يومئذٍ.

وقد سمع أعرابي رسول الله (ص)يقرأ القرآن في أيام البأساء والضراء، في مكة وهو يدعو الناس إلى الإسلام، فقال: إن هذا دين يغيظ الملوك ويغضبهم.

ولقد أدرك الأعرابي بفطرته طبيعة الصراع والتحدي المتبادل بين هذا الدين والملوك والحكام في الأرض.

ولما عمّ الإسلام الجزيرة العربية والمساحة المعمورة من الأرض، وبسط سلطانه، برغم كل هذه التحديات على الجزيرة العربية، وعلى الساحة المعمورة من الأرض، وأرغم كل العناصر الذين حاربوا هذا الدين على الدخول في حوزته وإعلان المبايعة لسلطانه.. لم يتخل أولئك الذين حاربوا هذا الدين يومئذٍ عن عدوانهم وتحديهم ومكرهم بهذا الدين، وإنما تحول هذا المكر والتحدي والحرب إلى حالة جديدة في وسط المجتمع المسلم، وهي حالة النفاق.

وحالة النفاق امتداد لحالة الكفر، والتحدي الذي يحمله المنافقون لهذا الدين لا يختلف في شراسته وضراوته عن التحدي الذي يحمله الكفر، إلا في أسلوب التحدي والمواجهة وليس في جوهره وأُصوله.

وهكذا اقترنت ولادة هذا الدين بظهور موجة واسعة من التحديات المتقابلة بين أنصاره وخصومه، واتسعت دائرة هذه الموجة العارمة من التحدي الميداني الحضاري حتى شملت الساحة المعمورة من الأرض في آسيا وأفريقيا، ثم تواصلت حلقات هذا التحدي عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل، إلى هذا العصر، يتوارث الأجيال من المعسكرين المتصارعين: (الإسلام والجاهلية) مزاولة هذا التحدي، قبوله على امتداد التاريخ.

المقارنة بين التحديين:

وشتان بين التحديين.. والفارق بينهما هو الفارق بين الحق والباطل، وكل منهما يتحدى الآخر: الحق يتحدى الباطل، والباطل يتحدى الحق، وشتان بينهما، إن الحق يتحدى الباطل بحول الله وقوته، والباطل يتحدى الحق بحول الإنسان وضعفه وعجزه وجهله، وشتان بين هذا وذاك ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾[1]

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[2]

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[3]

إن التحدي الأول يتحرك على وجه الأرض تحت النور من خلال سنن الله تعالى وبحول الله وقوته، وطبقاً للضوابط الشرعية والقيم الأخلاقية.

والتحدي الآخر، يتحرك في الظلمات، في ظلمات النفس والمجتمع، من دون ضوابط ولا قيم، والعاقبة في هذا الصراع للمتقين والصالحين.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[5].

---

(1) سورة الطارق: الآيات 15 ـ 17.

(2) سورة النمل: الآية 50.

(3) سورة الأنفال: الآية 30.

(4) سورة الأعراف: الآية 128.

(5) سورة الأنبياء: الآية 105.

لكن كلاً من هذين التحديين يخلّف معاناة للطرف الآخر بطبيعة الحال، ويشترك كلا المعسكرين في هذه المعاناة من غير فرق.

ولا تخصّ هذه المعاناة معسكر المؤمنين ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[1].

التحديات الإسلامية الكبيرة المعاصرة

حفل الشطر الأخير من القرن العشرين بتحديات إسلامية وسط دهشة الناس وحيرتهم في الغرب.

فقد شهد الشطر الأخير من هذا القرن قفزات نوعية كبيرة للوعي والصحوة الإسلامية، وشهد انتشار الحركات الإسلامية وتوسعها في آسيا، في أكثر الأقاليم، وفي أفريقيا في الشمال والغرب، وفي أوروبا وأمريكا.

ودخل الإسلام في الساحة السياسية العالمية على هيئة قوة كونية جديدة، وتألّق في الساحة الثقافية العالمية.

فقد ظهر لهذا الدين دولة وحاكمية في إيران..

واكتسب الإسلام جمهور الناخبين في الانتخابات البرلمانية في الجزائر، وكذلك في تركيا، وسجل حضوراً قوياً في السودان..

وسجل الضربة القوية الأولى من نوعها على كيان العدوان العسكري الإسرائيلي في جنوب لبنان على يد شباب حزب الله..

وسجل الانتصار، لأول مرة في تاريخ الانتفاضات والثورات للحجارة، على الأسلحة الفتاكة والمدمرة التي يحارب بها

---

(1) سورة النساء: الآية 104.

الإسرائيليون أبناء فلسطين، فعرفت في التاريخ بـ (ثورة الحجارة)، كما عرفت الثورة الإسلامية في إيران بـ (ثورة المساجد)..

وسجل اندحاراً واسعاً للعدوان السوفيتي على أراضي أفغانستان، فتراجع السوفييت بكل إمكاناتهم العسكرية المتطورة أمام زحف تيار الأفغان بأسلحتهم البدائية.

واتسعت رقعة الوعي والصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي وخارجه على نحو سواء.

وظهرت هذه الصحوة على شكل حركات إسلامية نامية، وانتفاضات، ونشاطات وأعمال ومؤسسات كثيرة وكبيرة في العالم الإسلامي..

وظهرت دعوات كثيرة هنا وهناك للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وإبطال الإثارات والفتن المذهبية بين المسلمين، وتنامت الدعوة إلى التفاهم والتعاون وتوحيد الموقف السياسي..

وأخذت الثقافة الإسلامية تتألّق في الأوساط الثقافية، وتفرض نفسها بقوة وكفاءة..

وبدأ الإسلام يزحف إلى الغرب زحفاً لا يثير الغربيين، وبقوة لا يقاومها الغرب، عندما بدأت الكنيسة الكاثوليكية بالانحسار والتراجع أمام موجة العلمنة في الغرب..

ويطول بنا الأمر، إذا أردنا أن نحصي مفردات التحدي الثقافي والسياسي الإسلامي في الشطر الأخير من القرن العشرين، والشطر الأول من القرن الواحد والعشرين.

وكان المكسب الأخير للإسلام في هذا المضمار، سقوط دولة الإرهاب والإفساد في العراق.

ولا نريد إحصاء المكاسب والتحديات السياسية والثقافية للإسلام خلال هذه الفترة، ولا تدخل في صلب حديثنا، وإنما أردنا أن نمهد بها للدخول في موضوع بحثنا، وهو (التحديات المعاصرة الكبرى التي واجهت الأمة).

التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا

وشاء الله تعالى أن لا يهنأ المسلمون بهذه المكاسب والتحديات التي واجهوا بها دول الاستكبار العالمي في الغرب؛ في أوروبا وأمريكا من دون مواجهة ومقابلة تُذْكر.

وصدق الله العلي العظيم، حيث يدعو رسوله (ص) إلى أن ينصب نفسه لمرحلة جديدة من العمل والحركة والمواجهة كلما انتهى من مرحلة سابقة..

يقول تعالى لرسوله (ص) في أوائل ما نزل عليه من الوحي ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾[1]، حتى لا يصيبهم استرخاء النصر والنجاح ونشوتهما.

لقد واجه المسلمون في هذه الفترة، بعد تلك الجولة العالمية والواسعة من التحديات الكبيرة والنصر والنجاح للإسلام والمسلمين.. ثلاث تحديات كبيرة يحتاج المسلمون إلى الكثير من المقاومة والصبر والعمل لإحباطها وإبطالها، وهي (الاحتلال) و(الإرهاب) و(العولمة).

وهذه التحديات الثلاثة غير مفصولة عن التحديات التي كان يمارسها الاستكبار العالمي في مواجهة الإسلام والمسلمين من قبل، لكنها تمثل حالة متطورة ومتقدمة من التحدي والمواجهة في عصرنا.

---

(1) سورة الانشراح: الآية 7.

الدوران المتعاكسان للتحدي

للتحدي دوران متقابلان متعاكسان في حياة الأمم والأفراد.

فقد يؤديّ التحدي في حياة الإنسان إلى اليقظة والمقاومة والمناعة.. وهي حالة قائمة في التاريخ، لأن التحدي يتضمن الإثارة دائماً. والإثارة تفجّر كوامن القوة واليقظة والمقاومة في حياة الأمم، والتحدي يلجئ الإنسان إلى الله تعالى، ولا يلجأ الإنسان إلى الله في حالة أقوى وأفضل من حالة الابتلاء.. وإنما يبتليهم الله تعالى لعلهم يضّرّعون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

وهذا هو الدور الإيجابي للتحدي.

وقد يكون دور التحدي سلبياً، فيستسلم الناس للتحدي، بدل المقاومة، ويخدّرهم التحدي بدل اليقظة. وهذا الدور وذاك من آثار التحدّي، والتحدّي يمكن أن يؤدي إلى كل منهما.

وعليه فلا بد من توجيه دائم للناس في ظروف التحدّي، لتكون ردة الفعل عند التحدي هي المقاومة واليقظة، وليس الاستجابة والخدر.

من الممكن أن تؤدي التحديات التي نستقبلها من ناحية الغرب، ومن داخل مجتمعنا إلى هزيمة نفسية وإستسلام تجاه التحديات، وقبول الأمر الواقع، وتبرير علمي لهذا الاستسلام، وانقياد وتسليم ثقافي وسياسي للغرب، وتبعية واتكالية اقتصادية.. وهذا هو الدور السلبي لهذه التحديات في حياة الأمة.

---

(1) سورة الأنعام: الآية 42.

ويمكن أن تؤدي بالعكس إلى عزم وإرادة جمعية للأمة كلها للصمود والمقاومة تجاه هذه التحديات، والتخطيط للتحرّر منها، ومقابلة التهديدات بجرأة وشجاعة، والتخلص من حالة التبعية السياسية والثقافية، والتحرّر من الاتكالية في الحالة الاقتصادية، حتى لو اقتضى الأمر أن نأكل من أعشاب الأرض لنتمكن أن نقوم على أقدامنا، معتمدين على الله تعالى في تجاوز المحْنَة والتهديدات والتحديات.

كل ذلك ممكن، وحدث كل من هذين الوجهين في تاريخنا المعاصر تجاه السيطرة الغربية على العالم الإسلامي.

علينا أن نعمل لتوجيه الحالة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للأمة باتجاه المقاومة، ونحذر من الاتجاه الاستسلامي والمطاوع للمشروع الغربي.

إن التحديات والابتلاءات والفتن من السنن الإلهية الحتمية غير المشروطة في حياة الناس، ولا بد أن تقع وتتحقق، ولا يستطيع أحد أن يحول بينها وبين الناس.

يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[1].

إنها سنّة إلهية حتمية، غير مشروطة، ولا تفلت منها أمة كائنة ما كانت.. والذي يريده الله تعالى من الناس في هذه الفتن أن يعلم ـ وهو العليم ـ كيف يواجه الناس هذه التحديات، صادقين أم كاذبين.

﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[2].

---

(1) سورة العنكبوت: الآية 1 ـ 3.

(2) سورة العنكبوت: الآية 3.

والصدق هنا في التعامل مع الفتن والتحديات: أن تعرف الأمة الفتنة بوجهها الصحيح، وتصدق في التعريف بالفتنة، فتواجهها بالمقاومة والصمود.

والكذب في التعامل مع الفتن: أن لا تكون الأمة صادقة مع نفسها ومع الله في التعريف بالفتنة، وتوجهها بغير وجهها، وتستقبلها كما تستقبل أية حالة صحية، كما وجدنا ذلك عند ناس من هذه الأمة استقبلوا الغزو الحضاري بالقبول والاستسلام، وفسرّوها بأنها حالة من التطور الثقافي والفكري!!

أولئك الكاذبون الذين تتمخض عنهم الفتن والتحديات، يفسرون الفتنة بغير وجهها ثم ينقادون لها ويتطبعون بها.

إن واجب العلماء والمثقفين الإسلاميين توجيه الأمة إلى طريق التعامل مع الفتن.

الفصل الثاني

التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا

التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا

هذه التحديات ليست مبتورة من التحديات السابقة عليها، وهي موصولة ـ لا محالة ـ بتحديات مقبلة على هذه الأمة.

وهذه التحديات منها فتن الضراء، ومنها فتن السراء، وهي لا تختلف في واقعها، إن كانت من فتن الضراء، أو كانت من فتن السراء، فإنها على كل حال فتنة وتحدي، لا بد من مقابلتها، ويجب الحذر من الدخول في حوزتها.

ولعل فتن السراء أخطر على هذه الأمة من فتن الضراء.

ومن هذه التحديات، تحديات يُصدّرها لنا الغرب كالاحتلال والعولمة، ومنها تحديات وفتن نابعة من داخل مجتمعنا كالإرهاب والتطرف الديني والبدع التي تهجم على هذه الأمة بين حين وآخر.

ولعل سائلاً يسأل عن تعريف التحدي بالفتنة، فأقول أننا نقصد بالتحديات؛ الأمور والحالات التي تقهر الأمة، وتغالبها على الخروج عن صراط الله المستقيم، وهذه هي فتن الضراء والسراء بالذات في مفاهيمنا الثقافية.

وليست هذه الثلاثة هي كل الفتن.. فإن تحديات العصر أوسع من ذلك، وإنما هي من أبرز التحديات التي نستقبلها في عصرنا.

وفيما يلي نتحدث عن هذه التحديات الثلاثة، ونعقبها بعد ذلك بالحديث عن (المشروع الإسلامي) في مواجهة هذه التحديات.

1 ـ التحدّي الأول: الاحتلال

لقد تجاوز العالم الإسلامي عصر الغزو العسكري المباشر بعد مصيبة ومعاناة طويلة لهذه الأمة مع الغزو العسكري الكافر، وعانت منها هذه الأمة طويلاً وكافحته بعناء وعذاب، فغيّر المحتل الكافر منهجه وتطورت أساليب الاستعمار لدول الاستكبار العالمي في المنطقة الإسلامية من الاحتلال العسكري المشهود إلى الاحتلال اللاّمرئي من خلال السيطرة على مفاصل القرار السياسي والاقتصادي والعسكري في هذه البلاد، ومن خلال الأنظمة الحاكمة التي كانت تقوم بتنفيذ سياسات دول الاستكبار العالمي: الغربية والشرقية من خلال آليات سياسية واقتصادية معقدة تؤدي إلى هذه النتيجة بعلم وإرادة من هذه الأنظمة.

ولم تبق في العالم الإسلامي منطقة خاضعة للغزو العسكري المباشر غير المناطق المحتلة عسكرياً من قبل إسرائيل من الأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية. التي لا تزال خاضعة للغزو الصهيوني المباشر.

غير أن سقوط الاتحاد السوفيتي غيّر أسلوب تعامل الولايات المتحدة مع المنطقة الإسلامية بصورة كاملة.

فقد كان سقوط الاتحاد السوفيتي في نهاية القرن الميلادي السابق أحد وجهي القضية، والوجه الآخر لها هو ظهور النظام الأحادي الأمريكي مقابل النظام التعددي ذي القطبين في القرن الذي مضى.

وهذا النظام لم يتم إقراره من قبل أي مؤسسة دولية، أو نظام من أنظمة العالم غير أن الولايات المتحدة الأمريكية اعتبرت هذه النقطة من الأُسس الثابتة الاستراتيجية في تعاملها مع العالم.

والتأثير المباشر والواضح الذي تركه هذا التحول العالمي إلى النظام الأحادي؛ هو في طريقة تعامل الولايات المتحدة مع الدول والأنظمة التي كانت تدخل سابقاً في دائرة العالم الثالث.

لقد كان النظامان الاستكباريان يتباريان في كسب صداقة وعمالة هذه الأنظمة من قبل.. وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وخلو الساحة العالمية من قوة أخرى منافسة للولايات المتحدة الأمريكية، تحولت الولايات المتحدة من سياسة كسب الأصدقاء والعملاء في العالم إلى سياسة جديدة تماماً تتلخص في ممارسة النفوذ والقيمومة على هذا الشطر من العالم!!

وإذا واجهت مقاومة من ناحية الشعوب والأنظمة، فإنها تلجأ إلى التهديد باستعمال القوة، أو استخدام نفوذها الواسع على الأمم المتحدة ومجلس الأمن لممارسة الضغط على هذه الدول، بهدف إجبارها على المطاوعة.

وكان من مظاهر هذه التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة: استخدام العصا الغليظة، والتهديد في تنفيذ سياستها في المنطقة.

ومن الشواهد على ذلك: إسقاط الطائرة المدنية الإيرانية في مياه الخليج لإجبار إيران على إنهاء الحرب بشروط مجلس الأمن الظالمة، وضرب معامل صناعة الكيمياويات في السودان، وضرب ليبيا، وهلمّ جرّا...

وكان من مظاهر هذه التوجه السياسي الجديد للولايات

المتحدة: استخدام مجلس الأمن لتنفيذ سياساتها في المنطقة، وبلغ من قوة تأثير النفوذ الأمريكي على مجلس الأمن أن قرارات مجلس الأمن كانت تُعدّ قبل أن تطرح في مجلس الأمن في مواقع القرار الأمريكي!

فكانت أمريكا تهدد بمجلس الأمن، كلما تحتاج إلى ذلك، وتستحصل ما تحتاجه من القرارات الدولية من مجلس الأمن كما لو كان قرارا ً أمريكياً.

ومن جهة أخرى تلغي ما لا ينسجم مع سياساتها العامة والخاصة في المنطقة من قرارات مجلس الأمن، كما ألغت طائفة من القرارات التي تدين إسرائيل في عدوانها المتكرر على العالم الإسلامي.

وما لم تلغه أمريكا كانت إسرائيل تعطّله عملياً بضمانات وحماية أمريكية.

ولم تعد لقرارات مجلس الأمن استقلالية عن القرار الأمريكي.. وأصبح الانضمام إلى المؤسسة الدولية (العولمة السياسية) بمعنى الدخول في دائرة نفوذ القرار الأمريكي.

ومن مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة: الانفراد بالوضع الدولي في المنطقة الإسلامية، وممارسة القيمومة السياسية على العالم الإسلامي عبر المحيطات!

وآخر ما شاهدنا من هذه الممارسة للقيمومة السياسية على بلادنا: إجبار سورية على إخراج قواتها العسكرية من لبنان، واضطرار سورية لقبول الضغوط الأمريكية بهذا الشأن، والنصيحة التي أسداها حكام العرب للقيادة السورية بالإسراع في تنفيذ المطالب الأمريكية بخصوص إخراج قواتها من الأراضي اللبنانية، قبل أن تنفذ أمريكا تهديداتها في سوريّة.

رغم وجود القوات الإسرائيلية على الأراضي السورية في الجولان وعلى مزارع شبعا اللبنانية، ورغم كل قرارات مجلس الأمن.

إن الولايات المتحدة تمارس هذه القيمومة على العالم الإسلامي من موقع الاستعلاء والاستكبار السياسي، ولا تجد المنطقة سبيلاً لرفض القرارات الأمريكية، أو التوقف في قبولها.

وأمريكا إلى هذه الساعة، لم تعلن رضاها عن القيادة السورية، رغم الانسحاب السوري المعلن عن لبنان!

وقد مارست أمريكا ضغطاً عالياً على نظام عربي لقبول الإدانة في حادث سقوط الطائرة الأمريكية في سماء أوربا، وتسديد قيمة دية قتلاها بالمليارات من الدولار وليس بالملايين، ووافق هذا النظام أخيراً على تسديد هذه المليارات ـ لا اذكر الرقم الدقيق ـ من بيت مال المسلمين لأمريكا ثمناً لكسب رضاها وودّها، وجياع المسلمين في الهند وبنغلادش وأفغانستان وغيرها بحاجة إلى كل دولار من هذه المليارات التي بذلها هذا الحاكم العربي ثمناً لسكوت أمريكا وكسب ودّها.

ومن مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد: (الاحتلال العسكري) للعالم الإسلامي.. والإحتلال العسكري يعني العودة إلى الحالات البدائية الأولى ـ بعد الحرب العالمية الأولى ـ للغزو العسكري، وهي حالة عسكرية سياسية تجاوزها الزمن، في علاقة الدول الكبرى بالدول الضعيفة، تستعيدها أمريكا اليوم من جديد.

ولست أدري كيف تحاول أمريكا أن تنظم علاقاتها بالعالم الإسلامي بهذه العقلية التي تجاوزها الزمن منذ عهد طويل؟

ومن أبرز المشاهد السياسية العسكرية لهذه الحالة: الغزو العسكري الأمريكي لأفغانستان والعراق، والحبل على الجرّار.

وأمريكا غير عابئة بالاستنكار الواسع الذي أشهره الرأي العام العالمي لهذا الغزو العسكري لكل من العراق وأفغانستان.

فقد واجه الضمير العالمي هذه الحالة الأخيرة باستنكار شامل وواسع في مسيرات بشرية حاشدة، في مختلف البلدان، حتى في أمريكا نفسها.. فقد أدرك الرأي العام العالمي أن الولايات المتحدة تدفع العالم إلى حافة حرب كونية ثالثة.

وتتجاوز أمريكا المؤسسة الدولية إذا تباطأت عن الاستجابة لمطالبها، وتتصرف في الشأن الدولي، كما تتصرف في شؤونها الداخلية من موقع القيمومة والولاية، من دون انتظار لقرار مجلس الأمن.

وإذا كانت (العولمة) هي آخر مراحل الاستعمار فإن (الإحتلال) هو عودة إلى الأساليب القديمة للتعامل بين دول الاستكبار العالمي والدول الصغيرة والضعيفة.

أنا لم أعش في أفغانستان، ولكنني عشت في العراق في ظل الاحتلال، ووجدت كيف يضرب الجندي الأمريكي بهراوته عضو الجمعية الوطنية، ويرديه أرضاً، ولا أحد يجرؤ أن يتدخل في إنقاذه من تحت أقدامه!

ووجدت كيف ينزل السائق العراقي إلى الحافة الترابية من الجادة، ويتوقف عن السير عندما تتقدم الارتال الأمريكية في الجادة، وكيف يداهم الأمريكان بيوت الناس، ويعتقلون الناس من داخل بيوتهم، ويلقونهم في السجون، ولا يحق لأحد أن يسأل عن مصيرهم، وكيف يسحبون الرجال من بيوتهم بمرأى ومسمع من النساء والأطفال!!

وقد أدى الصراع بين المؤسسة الاستخباراتية الأمريكية ووزارة الدفاع إلى إنكشاف طرف بسيط فقط من تعامل الأمريكان مع العراقيين في سجن «أبو غريب».

إن هذه المشاهد التي يشاهدها العراقيون كل يوم، وشاهد العالم طرفاً منها على شاشات التلفزيون، يشعر الإنسان المسلم عراقياً كان أم غير عراقي، بالهوان.

وأخطر ما في هذه المشاهد أن يتطبع الجمهور بهذه المشاهد بالتدريج فيفقد الإحساس بالهوان، ويفقد معه حالة الرفض والمقاومة.

والذي يجري في أفغانستان كالذي يجري في العراق، إن لم يكن أسوء منه.

إن الاحتلال العسكري أصبح حالة منسوخة عالمياً بعد الحرب العالمية الثانية بالتدريج، إلا أن قيام النظام العالمي الأحادي، القائم على القطب الواحد، أعاد حالة الاحتلال العسكري مرة ثانية إلى العلاقات الدولية في العالم.

إنّ الإعلام السياسي الأمريكي يعلن أن رحيل القوات العسكرية الأمريكية والمتعددة الجنسية يتوقف على قدرة وكفاءة القوات الأمنية العراقية على ضبط الأمن.

إلا أن هذه المعادلة الإعلامية معادلة وهميّة، الغاية منها إخفاء الأهداف والأطماع الأمريكية في العراق.

والمعادلة الحقيقية التي يخفيها الأمريكان، من وراء هذه المعادلة الإعلامية الوهمية.. هي أن القوات الأمريكية والمتعددة الجنسية تبقى في العراق على مرأى ومشهد من الناس حتى يتم للأمريكان إحكام القبضة السياسية والاقتصادية على مواقع النفوذ السياسي والاقتصادي في العراق.

فإذا تم لهم ذلك، وتمكّنوا من المفاصل السياسية والإدارية والاقتصادية في العراق، فلا حاجة عندئذ إلى إبقاء القوات المسلحة

الأمريكية والمتعددة بمرأى ومسمع من الناس، في الشوارع وداخل المدن، وفي الطرق الخارجية ما بين المدن.

فإن الأمريكان يفهمون جيداً أن مشهد حضور القوات المسلحة في الشوارع والطرق الخارجية يستفِزّ الناس ويثيرهم، وليس من سبب عقلاني لاستفزاز الناس، وإذا أمكن استبدال هذا الحضور العسكري بحضور أقوى منه في المفاصل السياسية والاقتصادية والإدارية في البلد.

إن المهم عند الأمريكان هو السيطرة السياسية والاقتصادية، وهذه السيطرة يمكن تحقيقها بطريقة ذكية لا تثير الناس ولا تستفزهم.

إن بإمكاننا أن نفهم الأمريكان، نقرأ العقل الأمريكي المحتل لنعرف كيف يفكر الأمريكان، وما هي المعادلات السياسية التجارية التي تستحوذ على العقل الأمريكي في احتلال العراق؟

فقد كلف احتلال العراق الأمريكان كثيراً من المال والدم، ولا يمكن أن تقدم أمريكا كل هذه الأموال والدماء من غير احتساب دقيق، من نوع الحسابات التجارية، للأرباح المادية الكبيرة التي تجنيها أمريكا من وراء هذه الخسائر.

إن العقل الأمريكي عقل رياضي من نوع الحسابات التجارية يقيس كل شيء بالأرقام الرياضية، حتى الدم يحاسب بحسابات الدم المدفوعة إلى ورثة القتيل، والراتب الشهري الذي يقدم إلى عائلته من بعده.

وهذا التعويض المادي الذي تقدمه الدولة من الدم الأمريكي في العراق، تعوضه الثروات الطائلة التي تجنيها أمريكا من العراق.

وهذه المعادلة هي التي أنكرها الأمريكيون أنفسهم في تظاهرات صاخبة في شوارع واشنطن ونيويورك، قبل احتلال العراق وعارضوا

معادلة دماء أبناءهم بالنفط الذي يضخه ملوك النفط في أمريكا.

نحن لا نرفض الحسابات والمعادلات التجارية، ولا نرفض الرياضيات، ولكننا نعتقد أنه لا يجوز قياس كل شيء بالأرقام.

إن لغة الأرقام لغة مفهومة إذا دخلت السوق، ولكنها لغة غريبة غير مفهومة في عالم القيم والأخلاق والعلاقة مع الله والعلاقات الإنسانية.

وخطأ الحضارة المادية المعاصرة أنها تقيس كل شيء بالأرقام والأعداد.

ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نقرأ العقل الأمريكي، ونفهم طريقة تفكيره.

وهذا هو الفرق بين عقل الاحتلال وعقل الإرهاب والتطرف... إن من الصعب جداً قراءة عقل الإرهاب وطريقة تفكيره وفهمه للمسائل الاجتماعية ومسائل الدين والدنيا.

فليس بوسع أي تحليل علمي أن يفهم كيف يفكر الانتحاري الذي يفجّر نفسه ليقتل جمعاً من الأطفال، في عمر الورود، وهو يعلم ذلك، ويقدم عليه عن علم وعمد!!

إن هذه العقلية غير خاضعة لأي تحليل ومنطق، ولا يمكن فهمها ضمن أي إطار...

أقول: إن قراءة أولية لعقل الاحتلال توصلنا إلى نتيجة قطعية، وهي أن الاحتلال لا ينوي أن يخرج من العراق... ولا يزال يفكر كيف يثبّت أقدامه فيه أكثر من ذي قبل، ويضمن مصالحه بطرق أمينة تحقق له أكثر ربح ممكن بأقل خسارة مادية، ولا يزال يفكر كيف يبسط نفوذه السياسي والاقتصادي والثقافي في هذا البلد.

والنفوذ السياسي في عصرنا شيء أوسع من القوة العسكرية، إنه يشمل النفوذ الثقافي والسياسي والاقتصادي والإعلامي والعسكري... وهو معنى الهيمنة الاستكبارية.

وهذه الهيمنة تشيع بالضرورة الفساد والإفساد. ولقد أدركت ملكة سبأ هذه الحقيقة بشكل جيد، عندما قالت لبطانتها: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[1].

إذن فإن مصيبتنا مع الاحتلال مصيبة طويلة لا تنتهي في وقت قريب... ومن السذاجة أن نصدّق بما يقوله الأمريكان، حتى عندما يتغير شكل الحضور والاحتلال الأمريكي عن الاحتلال المرئي والمثير إلى الاحتلال غير المرئي.

ولا بدّ أن نعمل من الآن لإشاعة ثقافة المقاومة والتحضير الثقافي والإعداد والتخطيط الميداني للمقاومة، وهو لا شك عمل شاق وطويل وعسير.

ولقد كان وجود البعثيين في مواقع الحكم في العراق مصدراً لكثير من المآسي للعراق والعراقيين.. ومن أعظم هذه المآسي أنهم حضّروا وفتحوا الطريق لدخول الأمريكان إلى هذا البلد بكل عدتهم العسكرية والسياسية والإعلامية والمالية.

ومقاومة الاحتلال تحتاج إلى جهد إسلامي وطني شامل، ينهض به كل مسلم في العراق شيعي وسني ومن منطلق التكليف الشرعي.

ويحتاج إلى استنهاض المسلمين في العالم الإسلامي لدعم وإسناد حالة المقاومة ورفض الاحتلال في العراق.

---

(1) سورة النمل: الآية 34.

2 ـ التحدّي الثاني: الإرهاب والتطرف الديني

الإرهاب شبكة عالمية تمويلاً وتنظيماً وحركةً، وهذه الشبكة الحركية الواسعة تكشف عن وجود حالة واسعة من التعاطف والإسناد والتمويل لها.

ولهذه الحركة خطاب سياسي قوي، وهو من الخطابات السياسية المعاصرة التي يحسب لها حساب خاص في موازين الخطابات السياسية المعاصرة، كما يحسب لها حساب خاص ـ دولياً ـ في ميزان القوى وهذه نقاط إيجابية.

وإما السلب: فهي حركة غير مرئية، تتحرك تحت الأرض، بعيداً عن الرقابة العامة والنصح والنقد، ولذلك فهي معرضة دائماً لاختراقات أمنية وسياسية كثيرة، كما هي معرضة لتحريفات فكرية إسلامية ثقافياً وسياسياً، كما هي معرضة لتوجهات سياسية انفعالية وغير موضوعية.

ونحن نطمئن إلى النقطة الثانية ولا نستبعد النقطة الأولى.

والدليل على ما نقول الحالة التكفيرية الغالبة على هذه الحركة، ورفض الغير، وعدم الاعتراف بالآخرين والحلول الانفعالية للمشاكل السياسية للعالم الإسلامي، وإندفاعها نحو الإرهاب غير المشروع.

وإنما أقول: (الإرهاب غير المشروع) لأن في الإرهاب حالة مشروعة، يشير إليها تعالى في قوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

وفي الإرهاب حالة غير مشروعة، كالتي يمارسها هؤلاء في

---

(1) سورة الأنفال: الآية 60.

العراق وباكستان وأفغانستان في قتل الأبرياء وإثارة الفتن الطائفية.

ففي العراق ـ مثلاً ـ تجري حوادث كثيرة، لا تحصى من القتل والتخريب والذبح، وبشكل خاص في الأوساط الشيعية، وفي مناسبات أهل البيت (ع) من دون أي مجوّز شرعي، من اجتهاد أو رأي من آراء فقهاء المسلمين، ويتم كل ذلك تحت عنوان تكفير المسلمين واستباحة دمائهم!!

ولا تنفي الحركة مسؤوليتها عن هذه الأعمال.. بل تتبناها وتدافع عنها!

ويجري مثل ذلك في أفغانستان وباكستان من قتل المسلمين الشيعة، وتخريب مساجدهم تحت عنوان: التكفير، وهو عمل عشوائي إنفعالي، لا يقوم على أساس علمي أو موضوعي، في أي مذهب أو رأي أو اجتهاد في مذاهب الفقه الإسلامي.

وهذا عمل يهدد بإشعال الفتنة الطائفية بين المسلمين التي لا تبقى ولا تذر على شيء، ويعرض للخطر كل الجهود التي يبذلها العلماء المصلحون من الفريقين لجمع الشمل، وإعادة الوئام والانسجام والتفاهم والتعاون إلى الصف الإسلامي.

وهذه حالة ثقافية خطيرة وفهم محرّف للإسلام، وإلغاء للنصوص الإسلامية الصحيحة والصريحة التي تحكم بعصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وتمنع من رميهم بالكفر ونفي صفة الإسلام عنهم. هذا عن النقطة الثانية.

ولا نستبعد النقطة الأولى، ولا ننفي أن تكون هذه الحركة السياسية مخترقة من قبل الأجهزة الأمنية للدول الكبرى.

فإن الفتن الطائفية التي تثيرها هذه الجماعة فيما بين المسلمين في العراق وأفغانستان وباكستان وسائر البلاد يخدم أهداف أعداء

الإسلام بالتأكيد، ولا يرضيهم ولا يسرهم شيء كما يسرهم أن تشتعل نار الفتنة داخل الساحة الإسلامية.

ونحن نلمس في العراق أن القوات المتعددة الجنسية تفرق بين نوعين من الإرهاب بشكل واضح؛ الإرهاب الذي يمسّهم والإرهاب الذي يمسّ الناس.

فيواجهون النوع الأول من الإرهاب بقوة وعنف، ويتغاضون عن النوع الثاني.

ولا ننسىٰ أن نقول: أن هذه الحركة تقدّم اليوم صورة مشوّهة عن الإسلام، وليس الإسلام هو ما تعكسه هذه الحركة من خلال أعمال العنف والإرهاب في العالم.

ولا ننفي نحن عن الإسلام استخدام القوة لإزالة الفتن وتقرير التوحيد والعدل على وجه الأرض: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[1].

إلا إن الممارسات الإرهابية التي تمارسها هذه الفئة تختلف اختلافاً واضحاً عن القوة التي يتبناها الإسلام ليحقّ الحق ويبطل الباطل على وجه الأرض.

إن العقل الذي يقود الإرهاب في العالم يصلح للإعاقة والإتعاب والاستهلاك، ولا يصلح للحكم. فلا يمكن أن يحكم العالم اليوم عقل كالذي كان يحكم في أفغانستان، والذي يقوم بأعمال التخريب والقتل في العراق وأفغانستان وباكستان.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تقود اليوم حملة عالمية واسعة ضد الإرهاب، وترصد له المليارات من الدولارات لأنّ الإرهاب

---

(1) سورة البقرة: الآية 193.

مسّها في عقر دارها، ولكننا نعتقد أن أمريكا سوف تفشل في مكافحة الإرهاب في العالم.

وذلك أن السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية والأنظمة المرتبطة بها في العالم الإسلامي هي واحدة من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

إن سياسة الكيل بمكيالين في العالم الإسلامي، والتدخل من موقع القيمومة والولاية في شؤون المسلمين، وممارسة التهديد والتدخل العسكري، إذا اقتضى الأمر، من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

إن أمريكا تغض الطرف عن القوة النووية الهائلة لإسرائيل والتي تقدر بـ 300 رأس نووي، وتمارس ضغوطاً وتهديدات واسعة إعلامية وسياسية على إيران، لأنها تعمل للإستفادة من الطاقة النووية، بدل النفط، للاحتفاظ بالثروة النفطية للأجيال القادمة!

هذه السياسة (الكيل بمكيالين مختلفين في المنطقة الإسلامية) لا تخفى على أحد، ولا تملك الولايات المتحدة أي توجيه معقول لهذه السياسة اللامنطقية التي تمارسها بالقوة والإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، وهي بالذات من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

أنا لست من دعاة بقاء الجيوش السورية في لبنان.. ولكن كلما أتصور التدخل الأمريكي الضاغط والمهين على سورية لتخرج قواتها من الأراضي اللبنانية التي تتواجد فيها بطلب من الحكومة اللبنانية، أو شريحة واسعة من اللبنانيين على الأقل.. والى جوار سوريا تحتل الجيوش الإسرائيلية أراضي الجولان السورية، ومزارع شبعا، وأمريكا تغض الطرف عن هذا الاحتلال، وتمارس ضغوطاً عالمية وعربية، وتهديدات عسكرية على سوريا، لإجبارها على إخراج قواتها

من الأرض اللبنانية، وتضطر سوريا تحت طائلة هذه الضغط الهائل إلى الخروج من لبنان...

أقول: كلما أتصور هذه المفارقة السياسية الواضحة في السياسة الأمريكية في المنطقة يصيبني إحساس بالهوان، والذي يصيبني من الإحساس بالهوان يصيب كل مسلم غيور على أرضه وأمته ودينه.

ولو كانت الدول العربية، أو الإسلامية، أو مؤتمرات القمة، أو مؤتمر الطائف، يمارس هذا الضغط على سوريا للانسحاب من لبنان، لم تكن الساحة الإسلامية الواسعة تشعر بمثل هذا الهوان، والسخط والغضب.

إن هذه المفارقات السياسية والممارسات اللامنطقية في السياسة الخارجية تؤدي بصورة طبيعية إلى تلك الممارسات اللامعقولة في مواجهة السياسات الأمريكية والأنظمة المرتبطة بها في المنطقة.

إن اللاّمعقول يؤدي إلى اللاّمعقول.

إننا لا نحتاج إلى تفكير كثير لنكتشف من نهج السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط: أن أمريكا تعتقد أن إيران وسورية لا تستحقان الحياة والعلم والتطور العلمي وامتلاك القدرات العلمية، وإن إسرائيل وحدها تمتلك هذا الحق!!

إن هذا المنطق اللامعقول، يؤدي إلى ردود فعل لا معقولة بالضرورة.

ومن الأفضل للولايات المتحدة في موقفها من الإرهاب أن تعيد النظر في سياساتها في المنطقة وفي العالم لعلاج ظاهرة الإرهاب. فإن هذه السياسات تنتج الإرهاب لا محالة إن كان في العالم الإسلامي أو خارجه.

إن من أسباب علاج هذه الظاهرة معالجة مسألة الاستبداد

السياسي في طائفة من الأنظمة الحاكمة في المنطقة، ومعالجة مسألة الاحتلال في العراق وأفغانستان.

على أننا نرفض ـ بصورة قطعية ـ ظاهرة الإرهاب ونعتقد أنها حركة إنفعالية غير راشدة تحتاج إلى كثير من الترشيد، والموضوعية، والعقلانية، والإسلامية في التفكير، والتخطيط، والاجتهاد السياسي، والعقل، وأنها حركة مخترقة موجهة لإثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين في العراق وأفغانستان وباكستان بشكل خاص، ولا تكفي الممارسات الأمنية لعلاج هذه الظاهرة الواسعة، إذا لم تقترن بحلول ومعالجات سياسية وثقافية.

3 ـ التحدّي الثالث: العولمة

يتعرض العالم الإسلامي اليوم لانهيار واسع للحواجز السياسية والثقافية والإقتصادية التي تفصل أقاليم العالم الإسلامي عن الغرب، وذلك بحكم قانون القرية الكبيرة الواحدة التي ترفض وجود الحواجز بين أحيائها وأطرافها المتعددة، كما يشيعه الغربيون.

فقد تشابكت أطراف العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً، بحكم وسائل النقل، والارتباط، والاتصال، والإعلام الكثيرة، حتى عاد من غير الممكن فصل أجزاء العالم بعضه عن بعض.

وهذه الظاهرة هي التي تهدّد أمن وسلامة الدول والكيانات السياسية والاقتصادية الضعيفة مقابل الدول الاستكبارية ذات القدرات السياسية والإعلامية والاقتصادية الكبيرة.

لقد تساقطت هذه الحواجز في غياب من وعي الرأي العام الإسلامي لما يجري في الساحة الإسلامية، سياسياً وثقافياً واقتصادياً، وفقدت الساحة الإسلامية حصانتها، من غزو الشركات الاقتصادية الغربية العملاقة لأسواقنا.

وقد تمكنت هذه الشركات في المنافسة الحُرة التي تجري بينها وبين مراكزنا الاقتصادية والصناعية الداخلية من عزل مراكز الإنتاج الصناعي الداخلي، واضعافها، واكتساح الأسواق في العالم الإسلامي.

طبعاً بالمنافسة الحرة، كما لو جرى قانون تكافؤ الفرص بين عامل ضعيف لا يملك غير جهد ساعديه، وآخر يملك رؤوس الأموال الطائلة..

إن قانون تكافؤ الفرص قانون عادل بلا شك، إذا طبق في ظروف مستويات اقتصادية ومعيشية متقاربة، أما عندما يطبق في ظروف معيشية مختلفة وعند مستويات اقتصادية متفاوتة، فإنه يصبّ دائماً في صالح أصحاب رؤوس الأموال، وتضطر الطبقة الفقيرة الضعيفة إلى أن تبيع جهودها لهذه الطبقة بثمن بخس.

والذي يجري اليوم في الانفتاح الاقتصادي للأسواق الإسلامية على الغرب يشبه هذه الحالة تماماً، وتزداد يوماً بعد يوم حالة الضعف في إنتاجنا الاقتصادي الداخلي، ويحكم الغرب أكثر فأكثر في حركة الاستيراد والتصدير في أسواقنا التجارية ويتحول اقتصادنا إلى اقتصاد استهلاكي استيرادي بحكم نظام العولمة الاقتصادية.

والهيمنة الاقتصادية تتبع بالضرورة الهيمنة السياسية، والأخيرة تتبعها الهيمنة الثقافية، وهذه حلقات لا ينفصل بعضها عن بعض إلا بعلاج شاق وعسير.

ولو كانت علاقاتنا الاقتصادية المنفتحة مع الغرب والدول الصناعية الكبرى تمثل علاقة متكافئة بين الاستيراد والتصدير لم يكن علينا من ضير في العلاقة الاقتصادية المنفتحة مع الدول الصناعية.. فإن طبيعة العلاقة الاقتصادية تقتضي الأخذ والعطاء، والأخذ والعطاء المتكافئان لا يضران مراكز الإنتاج والأسواق التجارية في بلادنا.

ولكن مشكلة العالم الإسلامي في علاقاته الاقتصادية مع الغرب

هي العلاقة غير المتوازنة وغير المتكافئة بين التصدير والاستيراد.

وهذه العلاقة تؤدي بالضرورة إلى هيمنة الدول الاقتصادية الغربية والشرقية على حركتنا الاقتصادية، وهي تؤدي إلى مسلسل طويل من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية.

والأمر كذلك في العلاقات السياسية، فقد تعرضت حدودنا السياسية لإنهيارات واسعة وتعرضت مواقعنا السياسية، تحت تأثير الضغوط السياسية والاقتصادية والإعلامية، وكذلك التهديدات العسكرية، لنفوذ الدول الكبرى بشكل كبير.

ومن هذه العوامل الضاغطة التهديد باستصدار قرار الحصار الاقتصادي والجويّ والسياسي من قبل مجلس الأمن. وهذه القرارات في الغالب غير عادلة ولا منطقية وتخضع لضغوط الدول الكبرى، كما نخضع نحن في العالم الإسلامي لتنفيذ هذا القرارات والخضوع لها.. في الوقت الذي لا تعبأ لها إسرائيل وتمارس التجاوز والعدوان رغم كل قرارات مجلس الأمن، علانية وجهاراً.

إن دخولنا في رحاب العولمة السياسية يساوي قبولنا من طرف واحد للنفوذ السياسي للدول الكبرى عموماً، وللولايات المتحدة الأمريكية، التي تقود الاستكبار العالمي بشكل خاص.

وهذا النفوذ السياسي لا يجري بصورة متكافئة في العلاقات الدولية، كما يجري بين أي كيانين سياسيين متعاملين مع بعض، سياسياً، واقتصادياً، وإنما يجري من طرف واحد فقط.

وهذه الحالة، بالذات هي التي حرمها الإسلام مؤكداً من خلال نفي السبيل للكافرين على المؤمنين، والسبيل هو النفوذ يقول تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1].

---

(1) سورة النساء: الآية 141.

ونهى الله تعالى عن الركون إلى الظالمين وساوى بينه وبين النار في جهنم، يقول تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[1].

وليس هناك من يمارس الظلم في حياة الناس أعظم من الدول الكبرى التي تمارس أبشع أنواع الظلم والإجحاف بحق المسلمين، وقد حرّم الله تعالى الركون والإطمئنان إليهم، والثقة بهم.

وأمرنا الله تعالى بالتعامل معهم، من خلال موقع الاستعلاء والقوّة، لا من موقع الانفعال والضعف.

إن العلاقات السياسية والاقتصادية المنفتحة مع الغرب، والدخول في نظام العولمة سياسياً واقتصادياً، يؤدي بصورة مباشرة إلى تدفق النفوذ السياسي والاقتصادي لدول الاستكبار العالمي إلى العالم الإسلامي من طرف واحد.

تماماً كما لو رفعنا الحواجز الهندسية عن تدفق السيول إلى أرض منخفضة، فإن انهيار هذه الحواجز يساوي الخراب الواسع الذي يتبع تدفق السيول إلى أرض منخفضة عامرة بالناس والعمران.

والصحيح هو تنظيم العلاقة وليس الانفتاح اللامحدود الاقتصادي والسياسي والثقافي، كما يدعو إليه دعاة العولمة ولا تختلف الحواجز السياسية والاقتصادية عن الحواجز الثقافية، فكما تحتفظ لنا هذه الحواجز في الاقتصاد والسياسة الحصانة الاقتصادية والسياسية، وتحفظهما من النفوذ الاقتصادي والسياسي للدول الكبرى، كذلك الحواجز الثقافية تحفظ لأمتنا مناعتها الثقافية والحضارية من التحلل الخلقي والقيمي الذي يقدمه لنا الغرب من خلال وسائله الإعلامية الضخمة والمتطورة.

---

(1) سورة هود: الآية 113.

إن الغرب استطاع للأسف ـ أن يكسر الحواجز التي تفصلنا عنه ثقافياً وحضارياً بالآليات الخبرية والإعلامية الفضائية، وشبكات الانترنيت، والصحافة المتطورة التي تطبع في عدة عواصم في وقت واحد.

ودخل الغرب بهذه العملية الاقتحامية عقر دورنا ومخادع نوم أبنائنا وبناتنا، ومن دون أي حاجز يذكر، كما لو كان السد يتهاوى أمام تدفق السيول المخربة، فتدخل السيول بقدرة تخريبية عالية دور الناس وممتلكاتهم ثم محلاتهم،. وتسلب منهم كل قدرة على حجز هذا التدفق المخرب ومنعه.

إن الذي يجري اليوم في الأوساط الثقافية في العالم الإسلامي هو الكارثة الثقافية بعينها، لو لم يتداركها المسلمون بوعي لعمق الكارثة، وتخطيط دقيق للحد من خسائرها، وبالتالي السيطرة عليها.

إن الانفتاح الثقافي والحضاري القائم فعلاً ليس عملاً ثقافياً وحضارياً (حواريّاً) متبادلاً بين ثقافتين وحضارتين، كما يأمرنا القرآن بالحوار، وتبادل الأفكار والثقافات، وإنما هو اكتساح ثقافي.

وليس من الصحيح أن نخدع أنفسنا في هذه الكارثة الثقافية التي تحل بأبنائنا وبناتنا، ونسبغ عليها عناوين وهميّة من قبيل: الحوار والانفتاح، فإن الإسلام لا يمنع من الحوار والانفتاح، بل يأمر بهما، ولكن الذي يجري اليوم هو شيء آخر، يختلف عن الحوار والانفتاح السياسي تماماً.

إن الذي يجري في الوسط الثقافي، في العلاقة بيننا وبين الغرب هو تماماً ما يجري في الأسواق التجارية في العلاقة الاقتصادية بيننا وبين الدول الصناعية، وفي مواقع النفوذ السياسي بيننا وبين الدول الكبرى في العلاقة السياسية والنفوذ السياسي.

وهذا الذي يجري اليوم في نظام العولمة الجديد، سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً، ليس من مقولة الانفتاح المتكافئ، وتبادل العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، وإنما هو من نوع (الاجتياح) السياسي والثقافي والاقتصادي.

وهذا الاجتياح الثقافي، يهددنا إذا لم نتداركه بوعي وعقل وتخطيط دقيق، يهددنا بفقدان المناعة الثقافية والحضارية، وهو ما يطلق عليه الأطباء عنوان (الايدز) طبياً.. فإن شيئاً من هذا القبيل يجري في عالم الثقافة كما يجري في عالم الطب من فقدان المناعة من الأمراض.

وليست أمامنا خيارات كثيرة في هذا الاجتياح الثقافي والحضاري الواسع، وليس بوسعنا أن نمنع الأثير من أن ينقل إلينا ذبذبات الصوت والصورة، وليس بوسعنا أن نغلق أبواب دورنا وغرف أبنائنا وبناتنا عن هذا الاجتياح الثقافي الواسع..

والشيء الوحيد الذي نملكه، ويجب أن نخطط له هو التربية علىٰ التقوى، وبناء الجيل الجديد على أساس قويّ من التقوى.

فإن التقوى عازل تربوي قوي، ولباس واق يحفظ الجيل الصاعد من (حرائق) التحلل والابتذال الخلقي القادمة إلينا من ناحية الغرب، يقول تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1]، وكما يحفظ اللباس الإنسان من الحرّ والبرد، ويستر سوءته عن أنظار الناس، كذلك التقوى يحفظ الشباب في وسط هذه الحرائق.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

---

(1) سورة الأعراف: الآية 26.

إن التقوى لباس يستر سوأة النفس، كما يستر اللباس سوأة الجسم وهو كما يقول أمير المؤمنين علي أبن أبي طالب (ع) (**إن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه**)[1].

إن الأداة التي تمكّننا من مواجهة هذا الغزو الثقافي الهائل (بل القصف الثقافي)، هو التقوى، وهو أداة قوية، وعازل قوي، يحفظ الشباب من الجنسين من تأثيرات هذه الثقافة الحضارية المتحللة.

(1) الامام علي بن أبي، نهج البلاغة. جمع الشريف الرضي، ط1، دار التعارف للمطبوعات بيروت، 1990م. ص157، الخطبة رقم: 157.

الفصل الثالث

مفردات المشروع الإسلامي
لمواجهة التحديات

مفردات المشروع الإسلامي
لمواجهة التحديات

لست بصدد طرح المشروع الإسلامي لمواجهة التحديات، فهو حديث يطول وبحاجة إلى جهد فكري جمعي وتأمل ودراسة كثيرة، ليس موضعه هنا.

ولكنني سوف أستعرض هنا مفردات المشروع السياسي الثقافي لمواجهة التحديات، وهذه المفردات هي العناصر المقوّمة لأي مشروع ثقافي سياسي لمواجهة التحديات الحاضرة التي تحدق بالعالم الإسلامي.

وسوف أستعرض هذه المفردات في أربعة مجاميع:

أ ـ المفردات التربوية الثقافية.

ب ـ المفردات الحركية.

ج ـ المفردات السياسية.

د ـ المفردات الاقتصادية والعلمية.

وإليك التفصيل:

أ ـ المفردات التربوية الثقافية

1 ـ مكافحة حالة الهزيمة النفسية:

التحديات والفتن خافضة رافعة، وهذه خاصيتها، يَصْعَد عليها ناس إلى الله، ويسقط منها آخرون إلى الدرك الأسفل من الجحيم.

إن الفتن والتحديات قد تزيد الناس الذين يواجهونها صلابة وقوة ومقاومة، وقد تسلبهم المقاومة، وتأخذ بهم إلى التسليم، والرضوخ والمطاوعة للفتن وقبولها، من موقع التسليم والانقياد، وهي خصلة مضادة للخصلة الأولى.

والتحديات والفتن ليست بضارة في نفسها، وإنما هي سنة من سنن الله تعالى، في حياة الناس، لا تحويل ولا تبديل لها، وإنما الضار هو الموقف النفسي من التحديات والفتن.

والأعداء لا يضرون الأمة، بقدر ما تضرهم الهزيمة النفسية تجاه العدو.

وليس بإمكاننا إخلاء الساحة من الأعداء والتحديات، ولكن بإمكاننا توجيه الموقف النفسي من الأعداء وتحدياتهم من الهزيمة النفسية إلى المقاومة والصمود.

وعندئذٍ ينقلب حضور العدو وتحدياته في ساحتنا إلى أمر نافع، لأنه يثير الغيرة والمقاومة والصمود في نفوس المؤمنين.

ونضيف إلى ذلك فنقول: كما أن من الخطأ تهويل العدو وتحدياته، والشعور بالهزيمة النفسية تجاهه، كذلك من الخطأ الاستهانة بالعدو والغفلة عنه، فإنّ العدوّ يترقب مواقع الغفلة، وثغرات الضعف في كيان الأمة، ليوقع بها في لحظة الغفلة الضربة المهلكة...

أقول: كل منهما خطأ: تهويل العدو، والاستهانة به، والصحيح هو الحذر من العدو ومقاومة الشعور بالخوف.

2 ـ التقوى والمقاومة النفسية:

إن المقاومة النفسية للأهواء والشهوات والانفعالات النفسية هي التقوى، وهي مبدأ كل مقاومة في حياة الإنسان، فإذا فشلت الأمة في مقاومة الأهواء داخل نفوسها، فهي بالضرورة تكون ضعيفة تجاه ما يقابلها من التحدي والعدوان.

و(التقوى) محفوفة بالقوّة، والنصر، ومعيّة الله، فهي لا تتحقق في حياة الإنسان إلاّ بالقوة، والضعف والاسترخاء لا يحققان التقوى في حياة الإنسان.

ومما أمر الله تعالى بني إسرائيل: أن يأخذوا الكتاب بقوة لعلهم يتقون، قال تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

فالتقوى هي نتيجة هذه الخصال الثلاثة:

1 ـ الإقبال على الكتاب، والأخذ به، وعدم الإعراض عنه (خذوا ما آتيناكم).

2 ـ (بقوة) وهي الخصلة الثانية. إن التلقي الضعيف للكتاب، لا يحقق التقوى في حياة الأمة، ومن دون التقوى لا تكون الأمة قوية.

3 ـ (واذكروا ما فيه) وهذه هي الخصلة الثالثة: الذكر والوعي.

وإنما دعاهم الله إلى هذه الخصال الثلاثة (لعلكم تتقون).

---

(1) سورة البقرة: الآية 63.

وكما كانت التقوى حاصلة من القوة في التلقي والتمسك والأخذ، كذلك هي من أسباب النصر والقوة ومعية الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

3 ـ الصبر والتقوى:

والصبر نحو آخر من المقاومة النفسية، وهو والتقوى حالتان من المقاومة النفسية، ضروريتان لحالات المواجهة والمقابلة... والله تعالى يرزق عباده بهما (عزم الأمور) والقوة على إمضاء الأمور وتقرير المصير ومواصلة العمل، ومقاومة التحديات.

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

كما أن الله تعالى يحبط بهما مكر الأعداء وكيدهم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[4].

4 ـ الإعداد التربوي للجيل الناشئ والصاعد:

الجيل الذي يواجه التحديات لا بد أن يكون صلباً، صعباً، يمتلك مزايا وكفاءات عالية على مواجهة التحديات والصمود والمقاومة.

ولا بد لهذا الجيل من إعداد صعب.

---

(1) سورة النحل: الآية 128.

(2) سورة البقرة: الآية 194، التوبة: 36 و123.

(3) سورة آل عمران: الآية 186.

(4) سورة آل عمران: الآية 120.

ومنهج التربية الإسلامية هو المنهج الصعب الذي ينشئ هذا الجيل الصعب.

إن هذه الأمة تواجه اليوم وغداً البأساء والضراء بأقسى ما تكون البأساء والضراء وأشدها، وسوف تحتدم الحضارتان الإلهية والجاهلية في صراع مصيري صعب...

ولا بد لهذا الصراع من رجال صعاب ونساء صعبات، وللأسرة الدور الأول في بناء هذا الجيل الصعب، وللمدرسة الدور الثاني.

ومن الآن لا بد أن نُعِدّ العدة لهذه المعركة، وقد تخلينا وتأخرّنا كثيراً عن الإعداد والتحضير لها، فلا بد أن نتدارك.

5 ـ إشاعة ثقافة الجهاد والمقاومة:

ثقافة القوة والمقاومة والجهاد جزء لا يتجزأ من ثقافتنا الإسلامية، وقد فقدنا هذه الثقافة في ظروف الهزيمة النفسية مقابل أولئك الذين كانوا يتحاملون على الإسلام بأنه دين العنف والسيف، فتراجعنا من خطّ المواجهة الثقافية، وأخذنا ننفي عن هذا الدين صفة القوة والقتال والمواجهة، ونضفي عليه صفة التسامح والرحمة، وكأننا نعتذر إليهم ممّا نجد في دين الله من قوة ورهبة!!

والإسلام دين رحمة وتسامح وحب، لا شك في ذلك، ولكن على أن لا نلغي من الإسلام خصلته الأخرى، وهي القوة والغلظة مع الكافرين والظالمين والمفسدين في الأرض، والمستكبرين.

والإسلام يضع كلاّ من هاتين الخصلتين في مواضعهما فلا تنفع الرحمة في موضع الغلظة، كما أن الغلظة تضر في موضع الرحمة.

ونحن اليوم، في مواجهة التحديات المصيرية التي تواجهنا بحاجة إلى التأكيد على هذه الخصلة في دين الله، وإشاعة ثقافة المقاومة والجهاد والقوة في هذا الدين.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)﴾[2].

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)﴾[3].

وقد أمرنا الله تعالى بإعداد القوة لهذه المعركة، وإرهاب أعداء الله.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[4].

وهذا الإرهاب الذي يأمرنا الله تعالى به في آية الأنفال لا نتبرأ منه، إذا كان الإرهاب لأعداء الله وأعدائنا، وأما الإرهاب الذي نتبرأ منه ونرفضه فهو إرهاب الأبرياء من الناس.

6 ـ تحديد المفاهيم وإزالة اللبس:

إن التناول غير العلمي للمفاهيم الفقهية والكلامية الإسلامية يؤدي إلى كثير من اللبس والانحراف الفكري.

وممن وقع في مثل هذا اللبس الشريحة التكفيرية المعاصرة في عالمنا الإسلامي اليوم.

---

(1) سورة الأنفال: الآية الآية 65.

(2) سورة التوبة: الآية 38.

(3) سورة التوبة: الآية 41.

(4) سورة الأنفال: الآية الآية 60.

إن مفاهيم من قبيل (الإسلام)، (الإيمان)، (الكفر)، (الشرك)، (الارتداد)، (إهدار الدم) وأمثال ذلك، لا يجوز تداولها وتناولها إلاّ من قبل الفقهاء والمتكلمين أصحاب الاختصاص.

والحالة التكفيرية والإرهابية المعاصرة قد وقعت في مثل هذا الخبط العلمي العجيب بسبب عدم تناول هذه المواضيع الحساسة والخطيرة في هذا الدين من قبل أصحاب الاختصاص الفقهي من فقهاء المسلمين.

فقد حصّن الإسلام دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بكلمة لا إله إلاّ الله.

روى الدارمي، والبخاري، وأبو داود، واحمد بن حنبل، وابن ماجة، والنسائي، واللفظ للأول والألفاظ متقاربة... عن رسول الله (ص) قال:

(إني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها حُرّمت علي دماؤهم وأموالهم إلاّ بحقها، وحسابهم على الله)[1].

وروى مسلم، أن رسول الله (ص) بعث بعثاً من المسلمين إلى

---

(1) الدارمي، عبد الله: سنن الدرامي، (لا، ط) مطبعة الاعتدال، دمشق، 1349هـ ج2، ص. 218 البخاري: صحيح البخاري (لا، ط)، دار الفكر، 1981م ج1، ص75 السجستاني، ابن الاشعث: سنن أبي داود. تحقيق وتعليق سعيد محمد اللجام ط1، دار الفكر، 1990م، ج2، ص41 ـ 42. بن حنبل، أحمد مسند أحمد بن حنبل. (لا، ط)، دار حنادر، بيروت، (لا،تا). ج2، ص. 199 ج2، ص455، ج3، ص. 339 القزويني، محمد: سنن ابن ماجه. تحقيق وترقيم وتعليق عبد الباقي، محمد فؤاد، (لا، ط)، دار الفكر، (لا، تا). ج2، الحديث 1285 ـ 1286. النسائي: سنن النسائي. ط1، دار الفكر، بيروت 1930م. ج8، ص109.

قوم من المشركين، وأنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وأن رجلاً من المسلمين قصد غفلته. وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد. فلما رفع عليه السيف قال لا إله إلاّ الله فقتله. فجاء البشير إلى النبي فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع. فدعاه فسأله، فقال: **لم قتلته؟** قال يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً، وأني حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلاّ الله، قال رسول الله (ص): **قتلته؟** فقال: نعم، فقال: **كيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة؟** قال: يا رسول الله، استغفر لي. قال: **وكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة؟** قال فجعل لا يزيد على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة؟[1].

وأخرج البخاري أن رجلاً قام فقال: يا رسول الله، اتق الله. فقال: **(ويلك الست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**، فقال خالد: ألا أضرب عنقه؟ فقال: **لا، لعله أن يكون صلى)**[2].

إن الطرح والتناول الفقهي للمصطلحات والمفاهيم الإسلامية، يزيل أمثال هذا الالتباس، ويحفظ الناس من الانحراف والسقوط.

7 ـ التثقيف السياسي:

الوعي السياسي الإسلامي يحصّن المسلمين من التضليل الإعلامي الواسع الذي تقوم به أجهزة الإعلام السياسية في العالم، في قلب الحقائق، وإظهار الباطل بمظهر الحق، وإظهار الحق بمظهر الباطل.

---

(1) النيسابوري، مسلم: صحيح مسلم. (لا، ط)، دار الفكر، بيروت (لا، تا)ج1، ص97 ـ 98.

(2) صحيح البخاري (م، س)، ج4، ص581.

ونحن اليوم نواجه تضليلاً إعلامياً واسعاً، وليس بإمكاننا أن نحجب المسلمين من هذا الإعلام العالمي المضلّل، ولكن بإمكاننا أن نحصّن المسلمين من تأثيرات هذا الإعلام، وذلك بالتثقيف ونشر الوعي السياسي الإسلامي في صفوف المسلمين.

إن العلماء، وخطباء الجمعة، وخطباء المنبر الحسيني، والكتّاب والمثقفين يحملون اليوم مسؤولية نشر الوعي السياسي في صفوف المسلمين بشكل عام، وفي صفوف الشباب بشكل خاص فإن الشباب أكثر الناس تعرضاً لمثل هذا الإعلام وتأثراً به.

والإعلام اليوم جزء لا يتجزأ من المعركة القائمة بيننا وبين أعداء هذه الأمة، والسلاح الذي نستطيع أن نقاوم به الإعلام هو الوعي.

ب ـ المفردات الحركية:

8 ـ مقابلة التحدي بالتحدي:

من أفضل أساليب مقابلة التحدي: مقابلة التحدي بالتحدي.

إن الدفاع أمر لا بد منه في أية مواجهة وأي تحدٍ وفتنة. ولكن موقع الدفاع موقع ضعيف دائماً، ولا يصح الاقتصار عليه.

فإن الاقتصار على الدفاع يؤدي إلى إبقاء حالة عدم التوازن بيننا وبين خصومنا، بين جهة الهجوم وجهة الدفاع. فإن خصومنا الحضاريين والسياسيين يبتدعون كل يوم فتنة جديدة وتحدياً جديداً، ولا ينتهي مسلسل التحديات.

فيستهلكنا الموقف الدفاعي، ويبقى العدو في موقع أفضل منا بحكم دوره في التحدي والهجوم، ويبقى موقعنا أضعف من موقع العدو، بحكم موقعنا الدفاعي.

ولكي تنقلب هذه اللامعادلة إلى العكس، لا بد أن نحشر خصومنا في موقع الدفاع، ونخرج نحن من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم، أو لا يستغرقنا الدفاع على الأقل.

ولكي نتحوّل إلى موقع الهجوم لا بد أن نبحث عن ثغرات في كيان العدو الحضاري والثقافي والنفسي والسياسي، وهي كثيرة، يجب أن نحوّل بعض جهدنا إلى تحدي الخصم ومهاجمته في عقر حضارته وثقافته وكيانه السياسي.

وسلام الله على أمير المؤمنين (ع) كان يقول:

(ردوا الحجر من حيث جاء)[1].

إن الدراسات الاستشراقية لم تكن لغايات علمية ومعرفية من أول يوم، وإنما كانت لغايات استكشافية، يكتشفون فيها ثغرات الضعف في تاريخنا وثقافتنا.

وبقي علماؤنا في موقع الدفاع تجاه الدراسات الاستشراقية إلى اليوم، وهو أمر لا بد منه.

ولا يجوز أن نترك المستشرقين يعبثون بتاريخنا وثقافتنا، ويُشوّهونها من دون رد.

ولكننا لو كنا نبذل من أول يوم في صراعنا مع الاستشراق بعض هذا الجهد في دراسات (استغرابية) نكتشف فيها نقاط الضعف في تاريخ الغرب وحاضره وثقافته بصورة موثقة منذ أيام القمع الكنسي للعلم، والحركة الإرهابية في تفتيش العقائد، إلى حالة التحلل الخلقي والقيمي القائمة اليوم، في الغرب، وحالة التفكك العائلي التي تهدد كيان الأسرة في الغرب تهديداً حقيقياً، وثغرات الضعف

(1) نهج البلاغة، (م. س)، ص400، الحكمة 314.

الكثيرة في النظام الرأسمالي الغربي، والديمقراطية الغربية والليبرالية، والاقتصاد الحر، وأمثال ذلك وهي كثيرة.

أقول: لو كنا نضع بعض هذا الجهد الذي بذلناه للدفاع عن الإسلام في الهجمات الاستشراقية.. لو كنا نضع بعض هذا الجهد في دراسات استغرابية نكشف بها سوأة الحضارة المادية الغربية، ونعرّيها لكان أجدر وأنفع مما صنعناه...

على أن الذي صنعناه في الرد على شبهات المستشرقين كان واجباً لا مناص منه، لا خلاف في ذلك، وبكلمة واحدة: إن مواجهة التحدي بالتحدي هو أفضل أساليب المواجهة والدفاع.

9 ـ المرابطة والحضور الواعي في الساحة:

لا تبقى الساحة الاجتماعية فارغة بحكم ضرورات السنن الإلهية، فإذا عَمَر المؤمنون ساحتهم بالحضور الواعي الفاعل، عَمُرتْ بهم الساحة وانتعشت.

وفي حالة إخلاء الساحة من المؤمنين لا تبقى الساحة شاغرة بانتظار حلول الصالحين، وإنما يفسح خلو الساحة من أبنائها المجال للعناصر الانتهازية التي تنتهز الفرص للتسلق على دماء الشهداء وتضحيات الصالحين من الشباب وسجونهم وعذابهم.

إن (شهود) الصراع الذين شهدوا ساحة الصراع المحتدمة أمس، في العراق، بين النظام البعثي والإسلام، يرثون اليوم دماء (الشهداء).

وهكذا (الشاهد) دائماً يرث (الشهيد).

وهذا الميراث ليس من نوع المواريث المادية التي يرثها الأبناء من الآباء، وإنما هو ميراث المسؤوليات والواجبات.

إن الحضور الواعي في الساحة السياسية من قبل الجمهور الصالح المخلص من المؤمنين تكليف شرعي، يجب أن يلتزم بها

الجمهور الذي يرث هذه الساحة عبر دماء النخبة الصالحة من أبنائها وعذابهم.

والتهاون في الحضور، واللامبالاة تجاه ما يجري في الساحة من أحداث سياسية وثقافية وإدارية.. تهاون في التكليف الشرعي إذا انطلقنا من منطلق وجوب الرعاية الشاملة، والمتبادلة في الشبكة الواسعة من العلاقات، داخل الأمة كما يقول رسول الله (ص): **(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)**[1].

وهذه قفزة نوعية في الوعي السياسي للأمة، إذا عرفت أن الحضور السياسي في الساحة في الصميم من التكليف الشرعي، وأن صوتها ينبغي أن يكون هو الصوت الأقوى، وهتافها هو الهتاف المدوي في الساحة، ورأيها وقرارها هو قرار الساحة، وجمهورها هو الذي يشكّل القاعدة العريضة في الساحة، ولا يحجب صوتها الدوي الإعلامي الخادع، من الذين ليس لهم وجود إلاّ في الإعلام، ولا مصداقية لهم في غير الإعلام.

وعليها أن لا تسمح للجماعات والفئات الوصوليّة التي همّها الوصول إلى السلطة، بأي ثمن، أن تنوب عنها في الوصول إلى مواقع السلطة، كالعصابة التي حكمت العراق لأكثر من ثلاثة عقود من الزمان بسبب غياب الأمة عن الساحة وانصرافها عن مهام الساحة ومسؤوليات الشأن العام إلى شؤونها الفردية والأسرية.

اللهم إلاّ مساحات من الأمة والحوزة العلمية ليست بحجم العراق بالتأكيد.

---

(1) صحيح البخاري، (م،س)، ج1، ص211، والترمذي، محمد بن عيسىٰ: سنن الترمذي ط2، دار الفكر، بيروت، 1983م. ج4، ص208، والبيهقي، أحمد بن الحسين، (لا، ط)، دالرالفكر، (لا،تا)ز ج6، ص287.

إن لكل إنسان اهتمامات خاصة، من غير شك، في معيشته وحاضره ومستقبله ورزقه وأسرته، ولكن ينبغي أن لا تحجبه هذه الاهتمامات عن الساحة العريضة التي تتعلّق بكل الأمة.

فإن جمهور الأمة إذا غاب عن الساحة تتحول الساحة إلى ساحة للمناورات السياسية والإعلامية لعصابات همهم الوصول للسلطة بأي ثمن، ومهما كانت الوسائل... وقد جرّب العراقيون هذه العصابات أكثر من مرة، وكانت التجربة الأخيرة، التجربة الأكثر مرارة وقسوة في تاريخهم.

وقد حدث ما كان يجب أن لا يحدث، ولا سبيل إلى تلافي ما حدث، ولكن يجب أن نحول دون حدوثه مرة أخرى.

ولئلا تتكرر الكارثة يجب أن يحرص الجمهور المؤمن الصالح الواعي على الحضور في الساحة، والاهتمام بالشأن العام، والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية.

والله تعالى يحب اهتمام الناس بالشأن العام وحرصهم عليه، فإذا وجد الله تعالى من الناس هذا الحرص، والصدق، والعزم، والوعي، والعطاء، والإحساس بالمسؤولية، تجاه ما يجري في الساحة وضع يده على أيديهم، ومع أيديهم، وحيث تكون يد الله تكون القوة والنصر والسداد. إن شاء الله تعالى.

إن تجمعات من مثل: صلاة الجمعة، صلوات الجماعة، الحج، الأعياد الإسلامية، مناسبات أهل البيت (ع) وزياراتهم، مجالس العزاء الحسيني، المجالس المخصصة للدعاء، مثل: مجالس دعاء كميل ليالي الجمعة... والمسيرات السياسية الدينية مثل: مسيرات التأييد والاحتجاج والاعتراض وأمثال ذلك، تجمعات مباركة تنزل فيها رحمة الله، وتشعر جمهور المؤمنين بالقوة والكثرة وتنفي عنهم الإحساس بالوحشة والقلة، وتخيف الأعداء وترهبهم.

وقد كان أزلام نظام البعث يتهيبون مواسم الزيارة التي يجتمع فيها المؤمنون لزيارة مرقد الإمام الحسين (ع)، وكانوا يعملون كل ما بإمكانهم لإعاقة زيارة الحسين (ع) في كربلاء.

وليست هذه الرهبة جديدة في نفوس الظالمين، فطالما وجدنا الظالمين منذ عصر بني أمية وبني العباس إلى اليوم يخافون تجمع الناس حول الشعائر والمجالس الحسينية ويلجئون إلى القوة لتفريقهم.

ويقع على عهده العلماء والخطباء والمفكرين توجيه هذه الاجتماعات وإثراءها بالأفكار والتوجيهات.

10 ـ الوعي السياسي والإحساس بالمسؤولية:

وشرط الحضور أن يكون حضوراً (واعياً) و(مسؤولاً). وهذان شرطان أساسيان في الحضور: (الوعي والإحساس بالمسؤولية).

فإذا فقدنا الوعي في الحضور كان الحضور غوغائياً انفعالياً، وكان ضرّه أكثر من نفعه، ويتحول الحضور عندئذٍ إلى حالة قطيعيّة عائمة، غير موجهة.

وإذا فقدنا المسؤولية في الحضور كان الحضور أشبه شيء بحضور المتفرجين الذين ينفرطون عند الأزمات والشدة، كما يحضر الناس ألعاب كرة القدم ثم ينفرطون إذا انتهت اللعبة.

إذن، لا بد أن يمتلك الجمهور الوعي السياسي الذي يمكّنه من التشخيص السياسي الصحيح، ويمكّنه من أن يخترق الإعلام السياسي والشعارات السياسية المضلّلة، ويمنحه حالة من الثبات والثقل السياسي، ولا يكون خشبة عائمة على أمواج (الإعلام) و(السياسة)، **(اتباع كل ناعق)**[1] كما يقول الإمام علي (ع).

---

(1) نهج البلاغة، (م،س)، ص375، الحكمة: 147.

إن الوعي السياسي يعطي للأمة ثقلاً، وتشخيصاً صحيحاً، وبصيرة سياسية، وثباتاً في المواقف السياسية.. وبعكسه تكون الأمة عرضة للشعارات السياسية المضلّلة، وللإعلام المضلل، والمناورات التي تقوم بها الجماعات التي تعمل للوصول إلى السلطة بأي ثمن (الوصوليون)، ويتحول الجمهور عندئذٍ إلى حالة انفعالية غوغائية.

وقد شاهدنا مشاهد من هذه الحالة الغوغائية للجمهور في الساحات السياسية في العالم الإسلامي كثيراً.

وإشاعة الوعي من مسؤوليات العلماء وخطباء الجمعة والجماعات وخطباء المنبر الحسيني والمثقفين.

وليس من عجب أن يمتلك الجمهور الوعي السياسي الراشد الذي يجعل منه قوة موجهة وراشدة وصامدة... ففي الجمهور مواهب وكنوز من المعرفة والإخلاص والحصانة، ليس في غيرهم، ولربما يتجاوز الجمهور في وعيه ورشده وبصيرته السياسية النخبة المثقفة.

والشرط الآخر لحضور الجمهور: الإحساس بالمسؤولية تجاه الساحة، انطلاقاً من تعميم مسؤولية الرعاية السياسية والاجتماعية على الجميع في شبكة مترابطة، كما في الحديث النبوي: **(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)**.

إن الساحة السياسية، ليست بمثابة ساحات الألعاب الرياضية التي يحضرها المتفرجون، يتفاعلون مع هذه الجهة أو تلك لساعات، ثم ينفض الجمهور، كُلٌ لشأنه.

لكل فرد من الجمهور يحضر الساحة دور ومسؤولية، يجب أن يتحسّس به، ويدركه، كما يدرك مسؤوليته تجاه أسرته ورزقه ومعيشته...

والمسؤولية الاجتماعية على الإسلام والمسلمين أهم من

المسؤولية الفردية. وقد يجب على الإنسان أن يضحّي بشؤونه الفردية من أجل المسؤولية الاجتماعية.

فما من منكر ولا فساد يقع في المجتمع، إلاّ ويتحمّل الناس جميعاً مسؤولية ذلك، حتى ترتفع المسؤولية بإقدام البعض، وفي غير هذه الصورة يجب على كل فرد في المجتمع ـ على نحو الكفاية ـ أن يقوم بواجبه تجاه مكافحة المنكر والفساد، كما يقول الفقهاء في الواجبات الكفائية.

وإذا تولى نظام فاسد ظالم الحكم في المجتمع، وقف الجميع موقف السؤال تجاه هذه الحالة من الاستبداد والظلم حتى يسقط الظالم، أو يؤدي الإنسان المسلم ما يجب عليه من العمل في المعارضة والجهاد.

إن الحياة الاجتماعية مسؤولية في الإسلام، لا يعفى منه أحد حتى يؤدي ما عليه، أو تسقط المسؤولية بإقدام الآخرين.

11 ـ الحركة والمراقبة:

للحضور دوران في حياة الأمة: الدور الحركي، ودور المراقبة.

ولا بد منهما معاً في الساحة.

الساحة بحاجة إلى الحركة، والعطاء، والنصيحة، والمشاركة في أداء المسؤوليات، ودعم الأعمال الصالحة وتأييدها، والتعاون في حركة البناء، والتضامن، والتكامل، والتناصر... وهذا هو الدور الأول.

والدور الثاني دور المراقبة والنقد، وهي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا تَخَلّت الأمة عن مراقبة الساحة وما يجري فيها عمّت المنكرات والفساد الساحة، والذي يحصّنها من الفساد والظلم والمنكرات هو المراقبة الدقيقة لما يجري فيها.

إن المراقبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسّ وإحساس بالمسؤولية، ولا بد أن يَتَسلّحَ أبناء الساحة بهذا الحسّ الذي يمكنهم من التقاط مشاهد المخالفة والانحراف والتخلف والفساد وفوضى الأمن.

ولا بد أن يمتلكوا الإحساس بالمسؤولية تجاه ذلك كله ليقاوموا مظاهر المنكر والفساد في المجتمع.

وكما يجب أن تكون حركة البناء حركة اجتماعية عامة تجمع أبناء الساحة جميعاً في مسيرة العمل الصالح... كذلك يجب أن تكون المراقبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتراض بصورة اجتماعية تعبّر عن غضب الأمة، وسخطها، واعتراضها، على مظاهر الفساد والمنكرات في المجتمع.

12 ـ المقاومة:

الأمة من دون المقاومة ريشة في مهب الرياح، وخشبة عائمة على أمواج السياسة والإعلام.

والحياة صراع، والطرف الذي يبقى في ساحة الصراع ليس هو الطرف الأقوى غالباً، بل هو الطرف الأكثر مقاومة.

والشواهد التاريخية على هذه الحقيقة كثيرة، ومن التاريخ المعاصر نشير إلى:

* انتصار الشعب الإيراني في ثورته التي قادها الإمام (قدس سره) على حكومة الطاغية بهلوي.
* وانتصار الشعب العراقي على حكومة الطاغية صدام.
* وانتصار شباب الجنوب في لبنان على إسرائيل.
* ومقاومة ثورة الحجارة وصمودها في وجه إسرائيل.

وهذه حقيقة هامة يجب أن يعيها المسلمون، اليوم، في وجه

الاحتلال الأمريكي، المدجج بالسلاح، والمجهز بأعتى قوة عسكرية على وجه الأرض، والمدعوم بأوسع إعلام سياسي في العالم.

إن المواجهة المصيرية بين المسلمين من جانب وأمريكا وإسرائيل من جانب آخر هو قَدَر هذه الأمة في هذه الفترة من تاريخها... ونحن بإزاء هذا القدر السياسي نحتاج إلى وعي وبصيرة سياسية للحقيقة التي يؤكدها القرآن في أكثر من موقع، في انتصار (المقاومة) على (العدوان)، وإن كان حجم العدوان أضعاف حجم المقاومة.

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾(1).

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾(2).

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(3).

والمقاومة على أنحاء: منها المقاومة المسلّحة، ومنها المقاومة السياسية والإعلامية.

ومنها المقاومة الاقتصادية، التي تتجسّد في الامتناع عن استخدام البضائع الأمريكية، والامتناع من تصدير النفط إلى الكيانات السياسية التي تعلن العداء لهذه الأمّة، وقبول الحصار الاقتصادي الذي تستخدمه أمريكا ضد خصومها بواسطة مجلس الأمن.

ومنها المقاومة الثقافية، وغير ذلك.

وسوف تبقى (المقاومة) أمراً أساسياً في حياتنا السياسية والاقتصادية والثقافية المعاصرة إلى أن يأذن الله تعالى بالفرج.

---

(1) سورة الأنفال: الآية الآية 65.

(2) سورة آل عمران: الآية 146.

(3) سورة الأنفال: الآية الآية 46.

وأما نوع المقاومة، فتقرره الظروف السياسية والمصلحة والمرحلة، وهي مسائل أساسية يلي أمرها أولياء أمور المسلمين.

ج ـ المفردات السياسية

13 ـ الخطاب السياسي:

الخطاب السياسي وتحديده من أهم مطالب الحياة السياسية، ومن دون وجود خطاب سياسي للأمة، وتحديد إطاره ومضمونه السياسي لا ينعقد الموقف والقرار، ولا يمكن تحديد الشعار السياسي (الذي لا بد منه في أية عملية سياسية).

كذلك لا يمكن تقرير المصير، وتحديد نوع الحكم، والعلاقات السياسية، ومسائل المعارضة، والجهاد إلاّ بتحديد الخطاب السياسي.

وهذا كله يتوقف على وجود خطاب سياسي للأمة، وتحديد المضامين التي يتضمنه الخطاب، حتى الدستور يتوقف على الخطاب السياسي، ومن دونه لا يمكن تدوين الدستور. فإن الدستور ملتقى السياسة والقانون.

خطاب الأمة والخطاب الرسمي:

ونحن نقصد بـ (الخطاب السياسي) خطاب (الأمة)، وليس الخطاب (الرسمي)، فقد فَقَد الخطاب الرسمي في أكثر أقاليم العالم الإسلامي أهميته وقيمته السياسية، لكثرة الكذب والتمويه، ولكثرة المفارقات في الخطاب السياسي الرسمي.

فقد مارس حزب البعث أبشع أنواع الفساد، والاستبداد، والاضطهاد، والابتزاز، والإسراف في الدماء والأموال والأعراض في العراق، والتآمر، وإثارة الحروب والفتن في المنطقة كلها تحت عنوان (الوحدة والحرية والاشتراكية)!!

إن الخطاب السياسي الحق، الذي له دور في صناعة الموقف والقرار، والمصير السياسي، والعلاقات السياسية، والدستور... يجب أن يكون متبنّىً من قبل الأمة، يعيه الجمهور، ويفهمه، ويتبنّى ما فيه، عندئذٍ يمتلك هذا الخطاب القوة والفاعلية في الحياة السياسية للأمة.

عناصر الخطاب الإسلامي:

ولا بد أن يعكس الخطاب السياسي وحدة الأمة الإسلامية، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[1]، ويعكس وحدة إرادتها السياسية.

ولا بد أن يعكس هذا الخطاب عِزّة الأمة الإسلامية وعزة الإسلام، وهيبة الإسلام، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[3].

كما لا بد أن يعكس العلاقات السياسية للعالم الإسلامي.

وللأسف نجد أن هذه الخصائص مفقودة بالكامل في الخطاب الرسمي السياسي للأنظمة وفي علاقاتهم السياسية.

فإن الخطاب السياسي لطائفة من الأنظمة العربية تجاه أمريكا يحمل طابع الصداقة، بينما تقف أمريكا مع إسرائيل في كل عدوان تقوم به إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني والعالم العربي والإسلامي، مستهينة بالدول الإسلامية والعربية، وأمريكا بحاجة إلى كل قطرة من نفط العرب، غير أنها مطمئنة إلى أن الأنظمة العربية لا تملك القدرة على أي قرار وموقف مضاد لها في علاقتها مع إسرائيل.

---

(1) سورة الأنبياء: الآية 92.

(2) سورة المنافقون: الآية 8.

(3) سورة آل عمران: الآية 139.

وللأنظمة في العالم الإسلامي أفضل العلاقات مع (فرنسا)، وهي تنزع الحجاب من رؤوس بناتنا في المدارس والجامعات، دون أن تحسب حساباً لغضب المسلمين وغيرتهم على بناتهم، لا لأن فرنسا لا تحسب حساباً لعلاقاتها مع الدول الإسلامية، ولكن لأنها تعلم أن الأنظمة الإسلامية ـ في الأكثر ـ لا تملك القدرة على اتخاذ أي موقف سياسي، واجتماعي تجاه هذا العدوان على فتيات المسلمين، في المدارس والجامعات.

ويجب أن يعكس الخطاب الإسلامي رفض المسلمين لكل نفوذ وسلطان سياسي واقتصادي وعسكري وثقافي من قبل دول الاستكبار العالمي ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1].

ويجب أن يتضمن الخطاب الإسلامي رفض الركون إلى صداقة دول الاستكبار العالمي ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[2].

ويجب أن يتضمن الخطاب الإسلامي استعداد المسلمين للحوار الإيجابي المفتوح مع كل الدول والكيانات السياسية (عدا الكيانات الغاصبة مثل إسرائيل)، ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3].

وهذه هي الصيغة العامة، والأصل الأول في العلاقات السياسية الإسلامية العالمية.

غير أن الحوار إذا لم ينفع في علاج نقاط الخلاف بين المسلمين وخصومهم السياسيين، فـ (القوة) هي (البديل)، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[4]، وليس (الحوار) هو الأول والأخير، ولا بديل.

---

(1) سورة النساء: الآية 141.

(2) سورة هود: الآية 113.

(3) سورة النحل: الآية 125.

(4) سورة الأنفال: الآية 60.

ولا بد أن يتضمن الخطاب الإسلامي دعوة الإنسانية إلى كلمة التوحيد ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1].

فهي الكلمة الوحيدة القادرة على أن تجمع البشرية كلها حول محور واحد.

ولا بد أن يتضمن الخطاب الإسلامي المرحليّة السياسية، والأولويات السياسية في علاقاتها الإيجابية والسلبية وفي مواقفها السياسية.

ولسنا الآن بصدد إحصاء النقاط والعناصر التي يجب أن يتضمنها ويعكسها الخطاب الإسلامي، وإنما نقول لا بد من تحديد علمي ودقيق لعناصر الخطاب الإسلامي وتدوينه.

فإن الأمة بخطابها، فإذا فقدت الخطاب، فقدت الموقف والقرار.

14 ـ توحيد الخطاب السياسي:

كما يجب أن يعكس الخطاب السياسي الأمة الإسلامية بكل شعوبها وأقاليمها، كذلك يجب أن تتبنى الأمة الإسلامية جميعاً هذا الخطاب، عندئذٍ يتحول هذا الخطاب إلى (رأي عام إسلامي)، ويتحوّل الرأي العام إلى قوة سياسية هائلة، والى موقف وقرار سياسي، ليس من نوع القرارات والمواقف التي تتخذها الأنظمة.

إن ألقرار عندما يكون صادراً عن الأمة، يكون قراراً صعباً، لا تتمكن الأنظمة من تجاوزه، ولا تتمكن دول الاستكبار العالمي من اختراقه.

---

(1) سورة آل عمران: الآية 64.

ومشكلتنا أننا نفقد مثل هذا القرار الصعب في وضعنا السياسي، والبديل لمثل هذا القرار هو القرار الرسمي الضعيف، الذي تتخذه الأنظمة بمفردها، أو مجتمعة في مؤتمرات القمة، وهو قرار ضعيف، عادة، يتمخّض عن مجموعة من المعادلات والموازنات السياسية التي تخضع لها هذه الأنظمة، ولا تستطيع أن تتجاوزها.

ولذلك نجد أن هذه القرارات معزولة عن إرادة الأمة، ضعيفة في مجال التنفيذ، خاضعة لإرادات الدول الكبرى، والاعتبارات الاستكبارية، مسلوبة النفع والجدوى، ضبابية، تنحدر باتجاه الأمر الواقع الذي تفرضه عليهم دول الاستكبار العالمي وإسرائيل....

فقد تحوّلت اللاءات الرسميّة بالتدريج إلى قرارات التطبيع تجاه إسرائيل، وإلى تبادل الأرض بالسلام، في الوقت الذي لم تتنازل فيه إسرائيل عن شيء من سياساتها، ولم تتنازل أمريكا عن دعم إسرائيل وإسنادها كلما تطلّب الأمر.

وإذا كان هناك من درس وعبرة في هذه الحركة السياسية التنازلية في أوضاعنا السياسية، فهو أن نعتمد منذ اليوم على نوع آخر من اللقاءات والقرارات، وهي لقاءات الأمة وقراراتها، وهي قرارات صلبة، لا تنحدر باتجاه الأمر الواقع الذي تفرضه دول الاستكبار العالمي، ولا يمكن أن تتلاعب به الأنظمة، ولا يمكن اختراقه.

ومثل هذا القرار يحتاج إلى مقومات عديدة.

منها: الوعي السياسي للأمة، وليس وعي النخبة فقط، وإن كان وعي النخبة هو الأساس لوعي الأمة.

والخطاب الرسمي النابع من هذا الوعي يكون خطاباً على مستوى الأمة وحجمها، وليس خطاباً للدوائر المحدودة الضعيفة.

وهذا الخطاب بهذه الخصوصيات التي تحدثنا عنها من مكونات الرأي العام الإسلامي، والموقف والقرار الإسلاميان يتمخضان عن هذا الرأي العام.

إن توجيه الخطاب الإسلامي السياسي، عملية شاقة في الظروف الحاضرة المتجهة باتجاه التعدديات السياسية، في ظروف ينادي الجمع بـ (التعددية السياسية) في الخطاب والقرار... من الصعب جداً تحقيق توحيد الخطاب والقرار السياسيين للعالم الإسلامي.

ولكنه رغم كل الصعوبات، فهو مسؤولية كل العاملين الإسلاميين من مختلف المذاهب الإسلامية، الشاعرين بأهمية وحدة الخطاب السياسي للأمة الإسلامية.

فليس بوسعنا إطلاقاً أن نحوّل الخطاب الرسمي في العالم الإسلامي إلى خطاب إسلامي واحد بمستوى هذه الأمّة وبحجمها العظيم. وليس بوسعنا أن نُحوّل خطابنا الإسلامي إلى قوة سياسية إلاّ إذا جمعنا عزمنا على توحيد الخطاب السياسي رغم كل المشاكل والعقبات.

وأعظم هذه العقبات: إزالة الحواجز المذهبية القائمة بين المسلمين والموروثة منذ قرون طويلة.

إن تجاوز هذا الحاجز العتيد أمر صعب، ولكنه واجب، وليست لنا خيارات كثيرة لنتردّد بينها.

فنحن نواجه اليوم دول الاستكبار العالمي، وفي مقدمتها أمريكا، ونواجه العدوان الإسرائيلي السافر على أراضينا وعلى المسجد الأقصى، ونواجه الاستبداد السياسي المرتبط بعجلة الدول الكبرى، ونواجه الاحتلال الأمريكي لأراضينا، والإرهاب اللامنطقي واللامعقول الذي يُقَدِّمُ صورة مشوهة عن الإسلام إلى الناس.

في مثل هذه الظروف لا خيار لنا إلاّ أن نتجاوز سياج الطائفية السياسيّة، بالتفاهم والحوار المشترك للوصول إلى خطاب إسلامي واحد، يوحّد الموقف والقرار الإسلامي.

ولا يضيرنا أن يكون هذا الخطاب معزولاً عن القوة والإسناد والدعم الدولي، فإن وحدة الخطاب الإسلامي هو بنفسه قوة هائلة في موازنات القوى في العالم اليوم.

والعلاقة بين (لقاءات التفاهم) و(توحيد الخطاب الإسلامي) علاقة جدلية تبادلية، فإن (لقاءات التفاهم) والحوار الإسلامي يؤدي إلى (توحيد الخطاب) والموقف والقرار السياسي، و(توحيد الخطاب) الموقف والقرار يعمّق هذه (اللقاءات) ويكثّفها ويؤكدها.

والمواقف والقرارات السياسية النابعة من وحدة الخطاب الإسلامي هي بالضرورة مواقف صعبة، وقرارات صعبة، لا تخترقها دول الاستكبار العالمي، ولا تُمَرِّنها الموازنات الدولية.

15 ـ الحوار والتفاهم

لا بد لنا من الحوار والتفاهم في الساحة الإسلامية الكبيرة، وإذا عجزنا عن تحقيق الحد الأدنى من الحوار والتفاهم، فأن مصيرنا إلى الوقوع في دائرة نفوذ دول الاستكبار العالمي، لا محالة. وليس أمامنا خيارات كثيرة.

إن الحالة الإسلامية المتشتّتة اليوم لا تستطيع أن تنهض بوجه المشاريع الاستكبارية.

وليس لنا أمل معقول في الأنظمة ـ في الغالب ـ أن تنهض بهذا الدور في جمع الشمل الإسلامي، وإتاحة فرصة الحوار والتفاهم للوصول إلى القدر الممكن المعقول من التفاهم والمواقف والقرارات المشتركة.

إذاً لا خيار لنا عن اللقاءات الإسلامية على مستوى الجمهور، وعلى مستوى النخبة من العلماء والمثقفين.

وقد جعل الله تعالى في هذه اللقاءات خيراً كثيراً لهذه الأمة، تذيب الجليد المتراكم على العلاقات، وتفتح القلوب، وتكون سبباً لتراشد العقول، واللقاء، والقوة... ويد الله على الجماعة، وحيث تكون يد الله تكون البصيرة والقوة. ويد الله على الجماعة ومعها.

غير أن هذه الجماعة لا تتحقق في واقعنا الاجتماعي والسياسي، ولا تكتسب يد الله إلا إذا كانت جماعة موجّهة وراشدة.

أما اللقاءات غير الراشدة وغير الموجهة، والجماعات الغوغائية، التي يجمعها الشعار، ويفرقها الشعار، من دون وعي ولا رشد، فليست هي الجماعات التي تكتسب معها وعليها يد الله تعالى.

إن علينا أن نعمل ما بوسعنا لتكثيف هذه العلاقات، داخل الساحة الإسلامية بين المسلمين والمؤمنين؛ من اللقاءات المشتركة بين السنة والشيعة، واللقاءات الهادفة الراشدة داخل الساحة الشيعية، وفي الساحة السنية على مستوى الجمهور، وعلى مستوى النخبة من العلماء، والكتاب، والخطباء، والمثقفين، والأحزاب، والحركات والمنظّمات الإسلاميّة.

ولكل من هذين اللقاءين: (لقاء الجمهور ولقاء النخبة) نكهته الخاصة به، وتأثيره الخاص، في توعية الأمة وتثقيفها، ونحن نحتاج إلى كل منهما في ترشيد مواقفنا وقراراتنا السياسية وإسنادها.

16 ـ المطاوعة:

وحيث لا يمكن الوصول بالتفاهم إلى قناعة مشتركة وقرار مشترك، فلا بد من (المطاوعة). فإن الساحة الإسلاميّة لا تحتمل الإنشطارات والتحالفات.

ولا بد من توحيد الخطاب والموقف والقرار السياسي، بأي ثمن معقول، فإذا لم نتمكن في الساحة الإسلامية من الوصول إلى قناعة مشتركة، فلا بد من المطاوعة لتحقيق هذه الغاية.

ولو كان المسلمون يتفقون على محور واحد في طاعة أولياء الأمور، كما يقرره الإسلام، أغنت (الطاعة) عن (المطاوعة)، وكانت الطاعة هي الأصل، ولكن إذا كان لا يمكن ـ لأي سبب كان ـ تحقيق هذه الطاعة في الساحة الإسلامية الكبرى، فالمطاوعة هي البديل عن (الطاعة)، و(التفاهم) للوصول إلى القناعات المشتركة.

ولنا في أمير المؤمنين أبي الحسن (ع) أسوة وقدوة... في مسألة الخلافة بعد رسول الله (ص)، وهو يرى أنّها من حقه، فرأى: انه إذا وقف موقف المعارض السياسي من النظام القائم فسوف يؤدي ذلك إلى إضعاف الإسلام والمسلمين، فلم يتردد في أن يقف مع الخليفة، ويؤيده، وينصره، ويسنده... رغم رأيه الذي أعلنه في خطبته الشقشقية المعروفة في الخلاقة بعد رسول الله (ص).

ولكن لا بد أن ننبه في هذا العنوان إلى ثلاث نقاط:

1 ـ إن المطاوعة تصحّ عند اختلاف الرأي والاجتهاد في المسائل السياسية، وليس في الدين وأصوله وفروعه.

2 ـ لا بد أن تتحول (المطاوعة) إلى مبدأ من مبادئ العمل الجمعي، يؤمن به الجميع، ويعملون به جميعاً، ولا تكون المطاوعة من طرف واحد دائماً... فإن المطاوعة من طرف واحد هي التبعية السياسية ذاتها.

ونحن لا ندعو إلى التبعية، وإنما ندعوا إلى المطاوعة، ولا نعتقد أن التبعية توحّد الخط السياسي الإسلامي والمواقف والقرارات الإسلامية.

3 ـ ليست المطاوعة بديلاً اختيارياً عن (الطاعة) و(التفاهم)، ولا يركن إليها إلا عندما تتعذر وحدة الطاعة، والوصول إلى قناعات مشتركة بالتفاهم، فهي بديل اضطراري لهما، وليس بديلاً اختيارياً.

17 ـ الطاعة:

يبقى الكثير من مشاريعنا السياسية، في الوحدة الإسلامية، ووحدة الموقف، والقرار السياسي، والقوة، والرأي العام الإسلامي، ووحدة الخطاب السياسي، وغيره... أقول: يبقى الكثير من مشاريعنا السياسية شعاراً وحبراً على ورق، وأمنيات، حتى يتحقّق في حياة المسلمين أصل (الطاعة لأولي الأمر).

فإذا أخذ المسلمون بأصل (الطاعة) تحوّلت هذه الشعارات والأمنيات إلى واقع على الأرض.

والذي صمّم خارطة الأمة الإسلامية الواحدة، القويّة، الشاهدة، المعتصمة بحبل الله، ذات الدور الوسط في حياة البشرية، والقيّمة على المجتمع الإنساني العام، المستعلية ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]... أقول: الذي صمّم هذه الأمة بهذه الأوصاف العظيمة، جعل الطاعة أصلاً وأساساً صلباً لهذه الأمة.

يقول تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2].

وهذه الطاعة لأولي الأمر هي ملاك هذه الخصال العظمى جميعاً، ومن دون الطاعة تبقى هذه المشاريع السياسية الكبرى في الإسلام شعاراً، لا تغني ولا تسمن من جوع.

---

(1) سورة آل عمران: الآية 139.

(2) سورة النساء: الآية 59.

إن الطاعة قوة، ورشد، وكرامة، وعزة، ونظام في حياة الأمة.

ويجمع المسلمون ـ من كل المذاهب الفقهية ـ كما حققنا ذلك في كتاب (ولاية الأمر) ـ على أن الفقاهة هي شرط (الولاية) في الإسلام، والفقيه المتصدي، الناهض بالأمر، هو الذي يجب على المسلمين إشهار ولايته، ومبايعته بالطاعة.

وأعزّ شيئين يسرقهما منّا أعداؤنا هما (الثقة) و(الطاعة)، والطاعة قائمة على الثقة، فإذا فقدت الثقة، فقدت الطاعة بالضرورة.

وقد بذل أعداؤنا جهداً كثيراً لإضعاف هذه الثقة في نفوس الناس تجاه الفقهاء المتصدين، والتشكيك فيهم، وتجاه الحوزات العلمية... ولو أردنا أن نحصي مشاهد ومظاهر هذا التشكيك لطال بنا الكلام.

وعلينا في مقابل هذا التشكيك الواسع أن نعمد إلى تعميق حالة (الثقة) و(الطاعة) في نفوس الناس تجاه المرجعية الدينية السياسية.

والطاعة في الإسلام طاعتان:

* طاعة لله تعالى في شؤون التشريع.
* وطاعة لرسول الله وخلفائه (أئمة المسلمين) (ع)، ومن ينوب عنهم في التصدي لشؤون المسلمين من الفقهاء.

والطاعة الثانية غير الطاعة الأولى.

فإن الطاعة الأولى في الثوابت التشريعية من الحلال والحرام، والطاعة الثانية في المتغيرات السياسية التي يتصدّى لها الفقيه المتصدي، في عصر الغيبة، نيابة عن الإمام.

ولرسول الله (ص) طاعتان:

*طاعة فيما يُبلّغ عن الله من الشريعة والأصول والأخلاق من

الصلاة والصيام، وأحكام الأحوال الشخصية، وأحكام العقود، وما يشبه ذلك من ثوابت الإسلام في الأصول والفروع والأخلاق... وهي في الأصل طاعة لله تعالى حتى لو كان التبليغ بواسطة رسول الله (ص).

*والطاعة الثانية لرسول الله (ص)، وهي الطاعة في المتغيرات من الشؤون السياسية والإدارية التي كان يمارسها رسول الله (ص) في حياته، بالولاية على المسلمين.

والى هاتين الطاعتين تشير الآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

وتكرار الطاعة في الآية يشير إلى تعدد الطاعة: الطاعة الأولى لله في الثوابت الدينية، والطاعة الثانية لرسول الله (ص) وأئمة المسلمين (ع) في المتغيرات السياسية والإدارية التي يتولاها أولياء أمور المسلمين ونوابهم في عصر الغيبة.

ومن يتأمل في النصوص الإسلامية يجد اهتماماً وتأكيداً كبيراً على الطاعة بقسميها.

وهذا التأكيد والتأصيل لـ (الطاعة) في الإسلام بالتفصيل المتقدم هو من أبلغ الأدلة على وصل السياسة بالدين، وإبطال نظرية فصل الدين عن السياسة. فلا معنى للطاعة الثانية إذا قلنا بفصل الدين عن السياسة.

وقد ثبت بالضرورة أن رسول الله (ص) كان يمارس الولاية والزعامة السياسية على المسلمين، وكان يلزم الناس بطاعته، ليس فقط في الثوابت التشريعية من الحلال والحرام بل في المتغيرات السياسية في الحرب والسلم والاقتصاد والإدارة والنصب والعزل.

وقد غُيِّبَ عن المسلمين أصل (الطاعة السياسية) في ظروف

الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وتمّ تهميش (الطاعة) عن علم وعمد من حياة المسلمين.

واليوم، إذ يستعيد الإسلام دوره السياسي والقيادي البارز في العالم، لا بد أن نعمل بجد في تأصيل (الطاعة)، وتعميق ثقافة الطاعة، ووعي الطاعة. وهذا العمل يتطلب جهداً ثقافياً واسعاً يقوم به العلماء، والمفكرون والخطباء في أوساط المسلمين.

18 ـ العقلانية والموضوعية في القرار:

بين (القرار) و(الشعار) فرق، فما يطلب من القرار لا يطلب من الشعار، وما يطلب من الشعار لا يطلب من القرار.

الشعار يتضمن غالباً المبادئ، ويلحظ فيه عامل التحريك والتثوير والإعلام، ولا بد منه في العمل السياسي، ولا غنى عنه.

ولكن لا بد إلى جانب (الشعار) من (القرار).

وفي القرار لا بد من ملاحظة الظروف الموضوعية التي تحيط بالقرار، والضغوط السياسية والاقتصادية الموجودة في الساحة، ولا يصح تجاوز هذه ولا تلك، ولا تجاوز الواقع السياسي القائم.

وليس معنى ذلك أننا في (القرار السياسي) و(الموقف السياسي) نتجاوز المبادئ السياسية التي نؤمن بها. فهذا أمر لا يجوز أن يحدث بحال من الأحوال.

ولكن الظروف الموضوعية والقاهرة التي نعيشها تتطلب منا المرونة في تنفيذ المبادئ في حدود قدرة الساحة والظرف السياسي على استيعاب المبادئ، وترحيل المبادئ في مواضع التطبيق، والعمل ضمن منهج علمي موضوعي.

إنّ الساحة السياسية العالميّة والداخليّة ساحة معقدة، تدخل

مجموعة من العوامل في تكوين هذه الساحة وفي العملية السياسية لا بد أن تؤخذ هذه العوامل القهرية والضاغطة بنظر الاعتبار.

وأعتقد أن هذه النقطة هي المفرق بيننا وبين بعض المجاميع الإسلاميّة التي كانت تُحرّم المشاركة في الحكم والانتخابات في ظروف وجود الاحتلال.

وفي رأينا أن هذا الرأي أشبه بالشعار منه إلى قرار وموقف سياسي ناصح ومسؤول.

فلا نختلف نحن في رفض الاحتلال، ومعارضته، ووجوب مكافحته، ومكافحة حالة التطبيع السياسي لحضور الاحتلال.

ولكننا نعتقد أن حضور المخلصين الواعين الصالحين من أبناء الساحة، رغم وجود الاحتلال ونفوذه وسلطته في الساحة، أفضل من غيابهم، وأن غياب الصالحين من أبناء الساحة لا يزعج المحتل، بل يفسح له المجال لملأ الساحة والمواقع بالعناصر الانتهازية التي تحسن المساومة والتعامل مع المحتل.

بل نعتقد أن الحضور هو المتعيّن في ظروف وجود الاحتلال، بقدر الإمكان، والغياب عن مواقع الحكم والقرار والإرادة خطأ تاريخي، لا ندفع نحن ضريبته فحسب بل يدفع أبناؤنا أيضاً ضريبة هذا الغياب اللاّمسؤول، الذي تطغى عليه حالة المزاجية والانفعال.

وليس معنى المشاركة في مواقع الحكم والقرار قبول الاحتلال، والتعامل معه، من منطلق التطبيع، بل يبقى الأصل السياسي الإسلامي الذي لا يتغير في التعامل مع الاحتلال هو الرفض، والحظر، والكفاح، ضمن منهج مرحلي موضوعي، يأخذ بنظر الاعتبار إمكانات الساحة، وقدراتها، وضرورة إعداد الساحة والرأي

العام الداخلي والإسلامي والعالمي لهذه المواجهة التي لا بد منها مع الاحتلال، كما سبق أن أشرت إلى ذلك في هذا المقال.

د ـ المفردات الاقتصادية

19 ـ العامل الاقتصادي من مكونات القوة في العالم:

لا يمكن تجريد القوة من الاقتصاد، فلكي نواجه التحديات المعاصرة الكبرى لا بد أن نكتسب القوّة التي تمكننا من الدخول في هذه المواجهة، والتغلب عليها.

والعامل الاقتصادي من مكوّنات القوة، فإن الحياة المعاصرة، شبكة مترابطة، يدخل فيها الاقتصاد في السياسة، والسياسة في الاقتصاد، وكلاهما في تكوين القوة العسكرية.

وما لم نحقّق ـ نحن ـ في العالم الإسلامي حالة الاكتفاء الذاتي في حياتنا الاقتصادية، لن نستطيع أن نقيم علاقات سياسية متكافئة مع العالم عموماً، ومع دول الاستكبار العالمي خصوصاً، ونبقى في حالة التبعية السياسية، النابعة من التبعية الاقتصادية.

وإذا كان موقعنا السياسي في معادلات القوة على وجه الأرض هو التبعية السياسية للدول الصناعية الكبرى ودول الاستكبار العالمي، فلن نقوى أبداً على مواجهة التحدّيات، وسوف ننحدر من موقع التحدّي إلى التطبيع، كما حصل ذلك في موقع أكثر الأنظمة العربية تجاه المشروع الصهيوني في فلسطين.

وليس معنى ذلك أن العامل الاقتصادي هو الأصل والأساس كما تذهب إلى ذلك الماركسية، فنحن نختلف عن الماركسية في فهم سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع وتفسيرها، ونعتقد أن للعمل الثقافي الدور الأول والقاعدي في بناء المجتمع، ولكن يبقى للعامل

الاقتصادي الدور المؤثر في البنية الاجتماعية والقوة السياسية لكل المجتمع.

ومن دون تحقيق الاكتفاء الذاتي لن نخرج عن دائرة التبعية السياسية.

وهذه حقائق لا يمكن التشكيك فيها.

وليس معنى الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد، أن نخرج عن المنظومة الاقتصادية العالمية، والقائمة على الأخذ والعطاء، والتصدير والاستيراد، والعلاقات الاقتصادية المتبادلة، وندخل في دائرة اقتصادية مقفلة، فهذا ما لا يمكن، ولا يكون في عالم العلاقات الاقتصادية المنفتحة والمتشابكة اليوم.

ولكن معنى الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد؛ أن نخرج عن دائرة العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة في الاستيراد والتصدير والأخذ والعطاء إلى دائرة العلاقات الاقتصادية المتكافئة في الاستيراد والتصدير والأخذ والعطاء.

وليس على أسواقنا وتجارتنا ومصادرنا الطبيعية بعد ذلك من بأس، أن تفتح مع بلاد العالم جميعاً، علاقات اقتصادية متكافئة.

ولا نستطيع أن نحقق حالة الاكتفاء الذاتي في أوضاعنا الاقتصادية من دون أن نكتسب الكفاءات العلمية.

فإن الصناعات الخفيفة والثقيلة، والزراعة والتجارة، مجموعة اختصاصات علمية، ومن دون أن نكتسب هذه الاختصاصات لا نستطيع أن نُنشِّط حركة التصنيع والزراعة والتجارة في بلادنا.

هذه نقاط يتبع بعضها بعضاً، ولا يمكن التفكيك بينهما.

القوة لا تتحقق من دون العامل الاقتصادي، ولا يمكن تنشيط

وتفعيل العامل الاقتصادي من دون أن نحقق الاكتفاء الذاتي في أوضاعنا الاقتصادية. وبغير ذلك لا نستطيع أن نقيم مع العالم من حولنا، علاقات اقتصادية متكافئة.

ولا يتيسر لنا تحقيق ذلك من دون كسب الكفاءات العلمية التي تحرك العجلة الاقتصادية في الصناعة والزراعة والتجارة.

ونحن في الوقت الذي نصرّ ونؤكد على خطورة استيراد الثقافة، نؤكد على ضرورة كسب التخصّصات العلمية التي يتقدمنا فيها الغربيون، ونقول: إننا من دون هذه الكفاءات لا نستطيع أن نحقق تطوراً كبيراً في حياتنا الاقتصادية... والعلم سلاح، ولا بد أن نتسلّح نحن بهذا السلاح من أي مصدر ممكن ومعقول.

تدوين المشروع الإسلامي:

وبعد، هذه طائفة من مفردات المشروع الإسلامي لمواجهة التحديات الكبرى المعاصرة، فإن التحديات الثلاثة الكبرى التي نواجهها وغيرها من التحديات ليست أعمالاً فردية، وإنما هي أجزاء من مشروع سياسي واسع وكبير لإحباط النهضة الإسلامية المعاصرة.

ولمواجهة هذا المشروع السياسي، الثقافي، الاقتصادي لا بد من مشروع إسلامي مكافئ لهذا المشروع.

وقد استعرضنا نحن في هذا المقال طائفة من مفردات المشروع الإسلامي، وأما المشروع نفسه فيحتاج إلى وقفة أطول، ودراسة موسّعة من قبل مجموعة من أصحاب الاختصاصات المختلفة من المعنيين بالشؤون الإسلامية المعاصرة.

العلاقة بين الشرق والغرب

لا بد من أن نشير هنا مرة أخرى، أننا في معترك حضاري وسياسي وثقافي واقتصادي، ونواجه في وسط هذا المعترك أشرس أنواع المواجهة والمقارعة.

وإِن خصومنا في هذا الصراع السياسي والثقافي تَخَلَّوا حتى عن الذوق السياسي والثقافي، الذي يعم الناس جميعاً، ولم يعد بإمكانهم أن يخفوا كراهيتهم للإسلام، رغم حاجتهم الشديدة إلى المسلمين في كل شؤونهم الاقتصادية.

فلا تكاد فرنسا، بحجمها الحضاري والسياسي الكبير، في الغرب، تطيق فتيات مسلمات مراهقات معدودات يدخلن المدارس الفرنسية بحجابهن الإسلامي، وتضيق ذرعاً بهنّ!

ويقرر البرلمان الفرنسي منع الحجاب الإسلامي، في المدارس والدوائر الحكومية!!

والمعروف عن فرنسا إنها حاملة لواء الحرية في العالم!!!.

إن المسألة بيننا وبين الأنظمة الغربية أعمق من ذلك... ولا نزال

نذكر إنذار الرئيس الأمريكي للغربيين عشية 11 سبتمبر بعودة الحروب الصليبية بين الغرب والشرق من جديد!

إنَّ من الخطأ أن نساير الرئاسة الأمريكية في هذا الإعلان والإنذار العالمي، ونقف موقف العداء من الغربيين، فإنَّ بيننا وبين الغرب علاقات نحرص على المحافظة عليها، وتطويرها، وتنميتها، وتلطيفها، رغم كل مظاهر العداء التي نواجهها نحن من قبل الغربيين.

ولكن من الخطأ أيضاً أن نجهل نحن حقيقة الدور الاستكباري للغربيين، وبشكل خاص أمريكا تجاه العالم الإسلامي، ونَمُرُّ على الدعم الغربي عموماً والأمريكي خصوصاً لإسرائيل، من دون أن نتساءل عن أسباب ذلك، ومن دون أن نرتاب في حقيقة هذا الدعم.

ومن الخطأ أن نتعامل مع الدعم الأمريكي المتواصل لإسرائيل وسكوتها عن قدرتها النووية، بل إسنادها لها، والموقف المتشدد الأمريكي من التطور التقني النووي في العالم الإسلامي، كما نشاهد نظير ذلك في الموقف الأمريكي المتأزم من إيران، أقول: من الخطأ أن نتعامل مع هذه المفارقات الكبيرة في الموقف الأمريكي منا ومن أعدائنا بسذاجة وسطحية.

من الخطأ أن نقف موقف العداء السافر من الغرب، كما يفعل قادة الغرب في أمريكا، وفرنسا، وانجلترا وغيرها تجاه العالم الإسلامي.

ولكن من الخطأ أيضاً أن نمرّ بهذه المفارقات في السلوك السياسي للأنظمة الغربية عموماً، ولأمريكا خصوصاً تجاه العالم الإسلامي بسذاجة، ومن دون توقف.

إن المسلم يتغافل، ولكن لا يغفل.

والتغافل في العلاقات السياسية فضيلة وقيمة، ولكن الغفلة والسذاجة ضدّ القيمة.

إننا لا نستطيع أن نواجه المشروع الاستكباري الغربي الأمريكي لإحباط النهضة الإسلامية المعاصرة، من دون وجود مشروع إسلامي مكافئ ومقابل له، وتحقيق هذا المشروع، يتطلب تضافر الجهود والعقول والقلوب والأيدي.

وإذا تضافرت العقول والقلوب والأيدي في العالم الإسلامي لتحقيق هذا المشروع، فلا بد أن تكون يد الله تعالى معنا، لأن يد الله ـ عزّ إسمه ـ على الجماعة الإسلامية، ومهما دائماً.

وإذا كانت يد الله تعالى معنا، وعلينا، فلا يتخطانا النصر، مهما بالغ أعداؤنا في إحباط أعمالنا ومشاريعنا إن شاء الله.

مشروع الوحدة الإسلامية

ثقافياً وسياسياً

والأمة الواحدة

في مواجهة الفتنة الطائفية

مشروع الوحدة الإسلامية

ثقافياً وسياسياً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾

[آل عمران: 103].

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

[الأنفال: 46]

مشروع الوحدة الإسلامية

الوحدة الإسلامية مشروعنا الثقافي والسياسي والاقتصادي الحاضر والمستقبلي، وهذا المشروع الإسلامي العالمي هو المشروع المؤهل لمواجهة التحديات الحضارية والسياسية والاقتصادية الكبيرة التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم.

وهو في نفس الوقت يحمل بالمقابل، مشروعاً للتحدي على مستوى العالم... فهو مشروع مزدوج للتحدي ومواجهة التحدي، غير أن مشروع التحدي الإسلامي، يحمل للبشرية خيراً كثيراً، بعكس المشاريع الغربية في تحدي العالم الإسلامي الذي يحمل للمسلمين خراباً وفساداً حضارياً وثقافياً وتبعية سياسية وإقتصادية.

وهذا المشروع يحتاج إلى دراسة كثيرة وتخطيط شامل من قبل المفكرين والعلماء والمثقفين الإسلاميين، وليس خطاباً إنشائياً وشعاراً، وإنّما هو مشروع عمل ثقافي وسياسي وفقهي وإقتصادي وإجتماعي وأخلاقي.

الجماعة المؤمنة من منازل رحمة الله

لرحمة الله تعالى منازل في حياة الأمم والأفراد فإذا عرف الناس منازل رحمة الله في حياتهم الاجتماعية طلبوها وسعوا إليها.

ومن هذه المنازل التوحيد والإيمان والإخلاص والتقوى والتعاون والتحابب ...

ومن هذه المنازل اجتماع المسلمين.

عن رسول (ص): «**يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض**»[1].

إن يد الله قوة ونور في حياة الناس.

فإذا كانت يد الله على الجماعة كانوا أقوياء ومستبصرين بنور الله لا يضعفون ولا يتيهون.

إن القوة الحاصلة بالجماعة ليست حالة كمية حاصلة من تجمع الأيدي تجمعاً كمّياً، وإنما هي حالة كيفية حاصلة من إمداد الله تعالى ورعايته لهم وهدايته إيّاهم، وإغاثته لهم ونصره إياهم، وإنقاذه تعالى لهم من الأزمات والكرب.

إن تجمع المؤمنين يقترن دائماً بمعية الله تعالى (يد الله على الجماعة) واختلاف الناس وانفراطهم عن الجماعة المؤمنة يقترن دائماً بمعية الشيطان (والشيطان مع من خالف الجماعة).

إن يد الله عاصمة لجماعة المؤمنين، تعصمهم عن الضلال والتيه والضياع، فإذا شذّ أحدهم عنهم، فقد خرج عن دائرة عصمة الله، فكان من نصيب الشيطان.

---

(1) الري شهري، محمد؛ ميزان الحكمة، ط1، دار الحديث، قم، 1416هـ. ج1، ص406.

عن رسول الله (ص) «**يد الله على الجماعة، فإذا اشتذ الشاذ اختطفه الشيطان، كما يختطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم**»[1].

الجماعة الموجهة الراشدة

وأقصد بالجماعة الجماعة الهادية الراشدة، على صراط الله المستقيم، على هدى الكتاب والسنّة الشريفة، مثل اجتماع المؤمنين للجهاد، والصلاة، والجمعة، والدعاء، والتشاور، والتزاور، والتعاون، وذكر الله تعالى، والتذكير بسيرة صالح المؤمنين، ومن قبيل الاجتماعات التي يعقدها المؤمنون للاعتراض، والاحتجاج على الظالمين وسلوكهم وظلمهم واستبدادهم. هذه الاجتماعات هي الاجتماعات الهادية الراشدة الموجهة التي تستنزل رحمة الله، وتهبط عندها الرحمة من عند الله تعالى.

ولا أقصد بـ (الجماعة) الجماعات الشاذة التي تلتف حول البدع وتشذ عن الصراط المستقيم، وعن الكتاب وسنة رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) من بعده، الذين أعلنهم رسول الله (ص)، بأمر الله تعالى، عِدلاً للكتاب، من بعده، وأمناء على الكتاب والسنة.

ولست أقصد بالجماعة الجماعات الغوغائية غير الموجهة، أتباع كل ناعق، الذين يميلون مع كل ريح، كما يقول أمير المؤمنين (ع) لكميل.

يقول كميل بن زياد رَحِمَهُ اللهُ أخذ علي بن أبي طالب (ع) بيدي ذات يوم وأخرجني إلى (الجبّانة)[2] وجلس وجلست ثم رفع رأسه إليّ فقال: «**يا كميل احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة عالم ربّاني،**

---

(1) ميزان الحكمة (م. س) ج2، ص66.

(2) الجبانة في اصطلاح اهل الكوفة: المقابر.

ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[1].

وفي هذه الكلمة الجماعة الموجهة الراشدة هي الأولى والثانية، وأما الثالثة فهي الجماعة الغوغائية غير الموجهة اتباع كل ناعق، حتى لو كانت كثيرة.

الجماعة **الأولى** هم أصحاب العلم والمعرفة، الربانيون، الذين آتاهم الله المعرفة والبصيرة.

والجماعة **الثانية** هم الذين يهتدون بهدى أصحاب المعرفة، ويستنيرون بضوء معرفتهم.

هؤلاء وأولئك جماعات راشدة موجهة.

وأما الطائفة **الثالثة** فلم يستضيئوا بنور العلم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق من أرباب العلم والمعرفة.

يصفهم الإمام (ع) بأوصاف ثلاثة.

فيصفهم أولاً بأنهم همج رعاع، وشريحة إجتماعية غوغائية.

(أتباع كل ناعق) ينقادون لكل نداء ونعيق بسهولة، من غير تردد وتفكير وتأمّل وتوقف، لا كما يصنع العقلاء من الناس.

(يميلون مع كل ريح) ليس لهم وزن في ميزان الآراء والمواقف. وهذه هي الحالة الإجتماعية العائمة، التي تجري مع كل ريح وموج من ذات اليمين إلى ذات الشمال.

(لم يستضيئوا بنور العلم) وهم الجماعة الأولى الذين آتاهم الله تعالى العلم والمعرفة.

---

(1) بحار الأنوار (م. س)، ج1، ص188.

(ولم يركنوا إلى ركن وثيق) وهم الجماعة الثانية الذين يتبعون أصحاب العلم والمعرفة ويركنون ويلجأون إليهم.

هذه الجماعة، هي الجمهور الغوغائي العائم، غير الموجه، وغير الراشد، وهي ليست الجماعة الراشدة التي تستنزل رحمة الله تعالى وان كثرت.

سُئِل الإمام علي (ع) عن تفسير (السنّة) و(البدعة) و(الجماعة) و(الفرقة).

فقال: **«السنة والله سنة محمد (ص) والبدعة ما فارقها، والجماعة، والله مجامعة أهل الحق، وإن قلّوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا»**[1].

وعن الإمام الصادق (ع): **«سئل رسول الله (ص) عن جماعة أُمّته فقال: جماعة أُمتي أهل الحق وإن قلّوا»**[2].

وقيل لرسول الله (ص) ما جماعة أُمّتك؟ قال: **«من كان على الحق، وإن كانوا عشرة»**[3].

هذه (الجماعة) هي الجماعة الهادية الراشدة والموجهة التي تستنزل رحمة الله تعالى وبركاته.

مشاهد من اجتماع المؤمنين

يستعرض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مشاهد من التاريخ من (الوحدة) و(الفرقة) في أهل الكتب، وفي بني إسماعيل وبني إسحق وبني إسرائيل.

---

(1) بحار الأنوار (م. س) ج2، ص266.

(2) (م، ن) (ص، ن).

(3) (م، ن) (ص، ن).

ويذكرنا بما أنزل الله تعالى عليهم من بركاته ورحمته يوم كانت أيديهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة... فلما أن تفرقت كلمتهم وتشتت صفهم، وتخالفت قلوبهم أذهب الله عنهم ما أنزل عليهم من رحمته وبركاته، وأوكلهم إلى أنفسهم.

يقول (ع): «**فانظروا كيف كانوا حيث كانت الإملاء مجتمعة والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة والعزائم واحدة.**

ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين وملوكاً على رقاب العالمين؟

فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة، وتشتتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحاربين.

فقد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي مقص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين.

فاعتبروا بحال ولد إسماعيل، وبني إسحق وبني إسرائيل. فما أشد اعتدال الأحوال، وأقرب اشتباه الإقبال.

تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق، وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش»[1].

---

(1) نهج البلاغة (م، س)، ص217، الخطبة 192.

عناصر الوحدة

الوحدة (أصل)، و(فقه)، و(أخلاق) و(آليات علمية وعملية)، وما لم تجتمع هذه النقاط جميعاً في هذا المشروع لا يستطيع أن يحقق هذا المشروع الكبير على وجه الأرض أهدافه الكبيرة.

وسوف أتحدث إنشاء الله عن هذه النقاط الأربعة في مشروع الوحدة بإيجاز واختصار:

1 ـ تأصيل الوحدة

الوحدة، في الإسلام، في المجتمع الإسلامي (أصل) ومعنى الأصل أنه أساس ومعيار علمي وعملي للتعامل مع مواضع الاختلاف العلمي والفكري والسياسي والاقتصادي.

فكلما واجهنا في حياتنا العملية أو السياسية أو الاقتصادية موضعاً من مواضع الخلاف... كانت الوحدة أصلاً ومنهجاً في التعامل مع نقاط الخلاف... وليس معنى ذلك إلغاء الخلاف، والرأي والاجتهاد المخالف، فإن ذلك أمر غير ممكن وغير صحيح... ولكن لا بد من التعامل مع نقاط الخلاف العلمي والعملي والسياسي بين

المسلمين بمنهجية علمية وعملية... والوحدة هي هذه المنهجية العلمية والعملية للتعامل مع مواضع الخلاف بين المسلمين.

والقرآن الكريم يقرر هذا الأصل بوضوح في أكثر من موضع.

يقول تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ﴾[1].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾[3].

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾[4].

والاختلاف (أمر واقع) والوحدة (أصل) ويجب أن نتعامل مع هذا الأمر الواقع بهذا الأصل. نحن عندما نتعامل مع المسائل الخلافية في العقائد والفقه، لا نأخذ فقط الدليل بنظر الاعتبار ونلغي كل أمر آخر. إن المنهج الصحيح أن نأخذ بالأمرين معاً بالرأي

---

(1) سورة آل عمران: الآيات 103 ـ 105.

(2) سورة الأنفال: الآية 46.

(3) سورة الأنعام: الآية 159.

(4) سورة الشورى: الآيتان 14 ـ 15.

والدليل والحجة، ونأخذ أصل الوحدة أيضاً بنظر الاعتبار في طريقة التعامل مع الاختلاف في الرأي والفهم.

الاختلاف حقيقة واقعة لا يمكن نفيها ولا يصح إنكارها. والاختلاف في الرأي والدليل والاجتهاد أمر واقع لا يصح التنازل عنه، لأن التنازل عنه تنازل عن الرأي والدليل. والتنازل عن الرأي والدليل لا يصحّ إلا إلى دليل وحجة ورأي قائم على الدليل والحجّة.

ولكن إلى جنب هذا الاختلاف وضع الإسلام (أصلاً) في طريقة التعامل مع الاختلاف وهو (أصل الوحدة) وهذه مسألة على درجة كبيرة من الأهمية: كيف نتعامل مع الاختلاف في الرأي. هل يجوز أن يطرد بعضنا بعضاً، إذا اختلفنا في الرأي؟ وهل الاختلاف في الرأي (في الفقه والأصول والسياسة) بمعنى التقاطع، والرفض، والطرد، والنفي، أم بمعنى الحوار والتفاهم؟

2 ـ فقه الوحدة:

قلنا إن الوحدة (أصل) و(فقه) و(أخلاق) (آليّات علميّة وعمليّة). وقد تحدثنا عن (أصل الوحدة) وها نحن نتحدث عن (فقه الوحدة).

للوحدة فقه وقانون، وهذا الفقه نابع من ذاك الأصل.

فقه الوحدة، تنظيم فقهي لأمر التعايش الفقهي بين المسلمين.

والتعايش الفقهي من ضرورات الحياة الاجتماعية.

فان المجتمعات الإسلامية تجمع بين مذاهب فقهية مختلفة في العبادات والأحوال الشخصية والمدنية والقضاء والعقود، ولا يجتمعون على فقه واحد، وفي فقه أهل البيت أحكام خاصة بـ (التعايش الفقهي) اذكر منها ثلاث قواعد:

أ ـ قاعدة التقية:

وهي أن يلتزم المسلم الذي يتبع مذهب أهل البيت بأحكام فقه المذاهب السنية في العبادات، فيصلي بصلاتهم، ويفطر في العيد الذي يفطر سائر المسلمين وإن اختلف في تشخيص العيد، إذا تعذر عليه الصيام في ذلك اليوم ثم يقضي ذلك اليوم.

ويلتزم باليوم الذي يعلنونه للوقوف، وان اختلف رأيه عنهم في تشخيص اليوم الذي يجب الوقوف في عرفة.

والتقية لم تشرع فقط لحالات الخوف من بطش الحكام واضطهادهم وظلمهم وإنما شرعت من أجل توحيد مظاهر العبادة وتأليف القلوب والاحتفاظ بوحدة صيغ العبادة ومظاهرها.

ب ـ قاعدة الإلزام والالتزام:

وهذه قاعدة أخرى في التعايش الفقهي بين المسلمين وخلاصة هذه القاعدة أمران:

1 ـ الالتزام الفقهي بصحة العقود والمعاملات التي تتم فيما بين أهل المذهب المخالف لمذهب أهل البيت (ع). فلو صح عندهم الطلاق، صح الزواج من المرأة المطلقة عندهم، بموجب المذهب الفقهي الذي يذهبون إليه، وان كان هذا الطلاق غير صحيح عندنا، وإذا صح الميراث في بعض مذاهب أهل السنة في بعض الموارد، مما لا يتفق ومذهب أهل البيت (ع) في الفقه... اعتبرنا (الوارث) في ذلك المذهب مالكاً لما ورث عندهم، وان لم يكن وارثاً بموجب مذهب أهل البيت (ع)، وصح عندنا الشراء منه، وإن كان لا يعد مالكاً حقيقة عندنا في مذهب أهل البيت (ع)... وهذا هو أحد معنيي قاعدة (الإلزام والالتزام) وهي من أهم قواعد فقه الوحدة.

2 ـ الأمر الثاني في هذه القاعدة: إلزام اتباع المذاهب الأخرى بما يصح في مذهبهم في التعامل المشترك بين اتباع مذهب أهل البيت (ع)، واتباع ذلك المذهب .

فإذا مات شخص من مذهب آخر غير مذهب أهل البيت (ع) وكان يرثه فرد من مذهب أهل البيت (ع)، وهو لا يرثه بموجب مذهب أهل البيت (ع) ويرثهم بموجب مذهب المورث... صح للوارث (الشيعي) أن يرث المورث (السني) بموجب المذهب الفقهي للمورّث... بموجب هذه القاعدة. إذن هذه القاعدة من أهم عناصر (فقه الوحدة) يصحح التعامل المشترك بين اتباع المذاهب المختلفة ومذهب أهل البيت (ع) وهي قاعدة شريفة جليلة تحقق جواً سليماً للتعايش الفقهي بين المسلمين.

إن التعايش الوحدوي والسليم في المجتمع الإسلامي بين المذاهب الإسلامية الفقهية مسألة في غاية الأهمية... فلا بد أن يعيش المسلمون بعضهم مع بعض، ولهذه المعايشة فقه وأصول وأخلاق. وقاعدة الإلزام والالتزام من تلك القواعد الفقهية التي توفر الجو الفقهي الشرعي للتعامل المشترك في المسائل المختلف فيها بينهم فقهياً في المعاملات والأحكام الشخصية.

ج ـ قاعدة الحصانة والحرمة:

والقاعدة الثالثة في فقه الوحدة (حصانة المسلم) وهي قاعدة شريفة جليلة من قواعد الفقه الإسلامي.

وإذا كانت قاعدة (التقية) و(الإلزام) تخص فقه أهل البيت (ع)، فان قاعدة حصانة المسلم وحرمته تعم جميع المذاهب الفقهية في الإسلام، واليك توضيحاً إجمالياً موجزاً لهذه القاعدة.

يمنح الإسلام المسلم ـ من أي مذهب ما لم يتنّكر لضرورات

الدين أصولاً وفروعاً ـ حصانة، ولا يحق لأحد أن ينال منه إلا بحق.

حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة:

يقول عبد الله بن عمر: رأيت رسول الله (ص) يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن اعظم عند الله حرمة منك**»[1].

واستقبل الإمام الباقر (ع) الكعبة وقال: «**الحمد لله الذي كرمك وجعلك مثابة للناس وأمناً. والله لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك**»[2].

حرمة المسلم أعظم الحرمات:

يقول أمير المؤمنين (ع): «**وفضَّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها، وشدَّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب**»[3].

كل المسلم على المسلم حرام:

وهذه الحصانة شاملة.

عن رسول الله (ص) «**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذّبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه**»[4].

---

(1) سنن ابن ماجة، (م، س)، ج2، ص1297.

(2) بحار الأنوار (م، س)، ج17، ص233.

(3) نهج البلاغة، (م،س)، ص.

(4) سنن الترمذي ، (م، س): ج3: ص218.

وروى أحمد في المسند عن رسول الله (ص) «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[1].

«**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام**»[2].

وعن أنس بن مالك عن رسول الله (ص) «**من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا واكل ذبيحتنا فله مالنا وعليه ما علينا**»[3].

وروى الإمام موسى بن جعفر (ع) عن رسول الله (ص) «**إن الله جعل الإسلام دينه، وجعل كلمة الإخلاص حصناً له، فمن استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا وأحل ذبيحتنا فهو المسلم له مالنا، وعليه ما علينا**»[4].

الإسلام يحصن الدماء:

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: قال رسول الله (ص): «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا منّي دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله**»[5].

---

(1) مسند احمد، (م، س)، ج2، ص277. سنن ابن ماجة، (م، س)، ج2، ص1298.

(2) مسند احمد (م، س)، ج2، ص360.

(3) الصدوق بن بابويه القمي، محمد بن علي: الخصال، (لا، ط)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، 1403 هـ، ص. 178 وبحار الأنوار، ج65، ص269.

(4) الراوندي، فضل الله: النوادر، ط1، دار الحديث قم، (لا، تا). ص. 140 وبحار الأنوار، (م. س)، ج68، ص288.

(5) صحيح البخاري، (م، س) ج2، ص131 وصحيح مسلم، ج1، ص51 وسنن أبي داود (م. س)، ج2، ص93، وسنن الترمذي، (م، س)، ج5، ص3 وسنن ابن ماجه، (م، س) ج2، ص1295، وسنن النسائي، (م، س) ج2، ص77 ومسند أحمد بن حنبل، (م، س)، ج1ص11 و19 والبيهقي، أحمد بن =

روى مسلم في الصحيح عن أسامة بن زيد أنه قال: (بعثنا رسول الله (ص) في سرية، فأدركت رجلا فقال لا إله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي (ص) فقال رسول الله (ص): **أقال لا إله إلا الله وقتلته.** قلت: يا رسول الله: إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: **أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا.** فما زال يكرّرها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ)[1].

3 ـ أخلاقية الوحدة:

قلنا أن الوحدة ليست شعاراً ولا أمنية وإنّما هو مشروع عمل، وفقه، وأصل، وأخلاق و(آليات علميّة وعمليّة).

ونتحدث الآن عن أخلاقية الوحدة:

للوحدة أخلاقية كما أن للتفرقة والخلاف أخلاقية أخرى.

من أخلاقية الوحدة (الألفة) و(الرفق) و(المداراة) و(العفو) و(المسامحة) و(اتباع الحق) و(التجرّد من العصبية).

وأخلاقية الاختلاف والفرقة (الحسد) و(المشاكسة) و(اللّجاج) و(العناد) و(الغضب).

= الحسين: السنن الكبرىٰ، (لا، ط)، دار الفكر، (لا، تل)، ج8، ص176 والحصاص، أحمد بن علي: أحكام القرآن ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ج3، ط40 وابن حجر السقلاني، شهاب الدين: فتح الباري شرح صحيح البخاري. ط2، دار المعرفة، بيروت، (لا، تا)، ج12 ص275.

(1) صحيح مسلم، (م، س)، ج1، ص. 67 والمتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال، (لا، ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م. ج1، ص. 309 والسيوطي، جلال الدين: الدر المنشور. (لا، ط)، دار المعرفة، بيروت (لا، تا). ج2، ص202.

في دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع) الاستعاذة بالله من أخلاقية الخلاف والفرقة وإليك هذا الدعاء:

(اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب، وغلبة الحسد وضعف الصبر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، وإلحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المأثم، والاستكثار من المعصية، والإقلال من الطاعة، ومباهاة المكثرين، والإزراء على المقلين، وسوء الولاية على من تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، وأن نعضد ظالماً، أو نخذل ملهوفاً، أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول بغير علم. ونعوذ بك أن ننطوي على غش لأحد، وأن نعجب بأموالنا وأعمالنا، وأن نمد في آمالنا)[1].

ومن أخلاق الوحدة التجرّد والتحرّر من العصبية والالتزام بالحق، كما أن من أخلاق الخلاف والفرقة (العصبية).

قال رسول الله (ص): «**ليس منّا من دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية**»[2].

وقال الإمام الصادق (ع):

«**من تَعصَّب أو تُعُصِّبَ له، فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه**»[3]

«**من تعصّب عصبه الله بعصابة من نار**»[4].

---

(1) الصحيفة السجادية، ص8، نقلاً عن ميزان الحكمة (م. س) ج1، ص808.

(2) سنن أبي داود (م. س).

(3) الكليني، محمد بن يعقوب: أصول الكافي تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط4 دار الكتب الاسلامية، طهران، 1365 هـ.ش، ج2، ص307.

(4) (م، ن)، ج2، ص308.

ومن أخلاق المؤمن التحرّر من الانفعال والغضب.

عن رسول الله (ص): **«لا يقبل الباطل من صديقه ولا يرد الحق على عدوه»**[1].

وعن الإمام علي (ع): **«إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبَّ إليه وان نقصه وكرثه، من الباطل وان جرّ إليه فائدة وزاده»**[2].

وعن الإمام الصادق (ع): **«إنما المؤمن الذي إذا سخط لم يخرجه سخطه من الحق، والمؤمن إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، والمؤمن الذي إذا قدر لم يتعاط ما ليس له»**[3].

ويقول (ع): **«إن من حقيقة الإيمان أن تؤثر الحق وإن ضرّك، على الباطل وان نفعك»**[4].

من أخلاق الفرقة البطش وسوء المعاشرة.

ومن أخلاق الوحدة الألفة والرفق.

يقول الإمام الصادق (ع): **«إنّ إمارة بني أمية كانت بالسيف والعَسْف والجور، وإنّ إمامتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد»**[5].

---

(1) بحار الأنوار (م، س)، ج15، ص82.

(2) كرثه كنصره وضربه: اشتد عليه الغم بحكم الحق فإن الحزن بالحق مسرة لديه. والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم. نهج البلاغة (م، س)، ص13، الخطبة 125.

(3) بحار الأنوار (م، س)، ج68، ص359.

(4) (م، ن)، ج2، ص114.

(5) (م، ن)، ج66، ص170.

إن للوحدة أخلاقية خاصّة تحضّر الجو الأخلاقي للتعايش والتفاهم بين المسلمين.

وللتعايش بين المسلمين أعراف وأصول أخلاقية لا بدّ منها ولا يتحقق من دونها.

ولا يمكن الانفتاح والتعاون والتعاطي والتعامل والتعايش المشترك بين المسلمين من دون هذه الأخلاقية، كما لا يمكن أن يحقق المسلمون الغايات والأهداف الكبيرة لهذا الدين على وجه الأرض، ولا يمكنهم مواجهة التحديات الكبيرة السياسية والثقافية والاقتصادية ما لم يتمكنوا أن يحققوا هذا الجو الذي لا بد منه من التعايش والانفتاح والتعامل المشترك والتفاهم والتعاون.

التواصل والتعايش بإحسان مع عامة المسلمين:

ولأهل البيت (ع) اهتمام بالغ بهذه النقطة، فلا يرضون لشيعتهم أن يعزلوا أنفسهم عن الوسط العام للأمّة الإسلامية الكبيرة، فهم جزء لا يتجزأ من هذه الأمّة، والاختلاف في الأصول والفروع والانتماء والولاء يجب أن لا يؤدي إلى التقاطع مع سائر المسلمين... فإن هذه الأمة بكل اتجاهاتها ومذاهبها أمة واحدة، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[1]. وتعتبر قوة كبرى على وجه الأرض، وتواجه تحديات كبيرة، ولا تستطيع أن تواجه وتتجاوز هذه التحديات ما لم تواجهها أمة واحدة بموقف واحد، وفي صف واحد.

وقد كان أئمة أهل البيت (ع) يعيشون معهم وفي أوساطهم، ويجتمع إليهم المسلمون من كافة المذاهب والاتجاهات، ويحضرون

(1) سورة الأنبياء: الآية 92.

مجالسهم ويأخذون منهم العلم، ولو أحصينا أهل العلم الذين أخذوا العلم عن الإمام الباقر والصادق لوجدناهم أمة كبيرة من أهل العلم، وكانت مجالسهم ومحاضرهم عامرة بفقهاء المسلمين وحملة الحديث النبوي وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد... وهذه الحالة يعرفها جيداً من يعرف حديث أئمة أهل البيت (ع) وسيرتهم، وهي تعبّر عن حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الإيجابي السليم مع كل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية. في الوقت الذي كان أهل البيت (ع) يرسمون ويوضحون لشيعتهم وللمسلمين عامّة الخط الفكري الصحيح في الأصول والفروع بوضوح وصراحة وبشكل دقيق ومن غير مجاملة.

وفي أحاديث أهل البيت (ع) دعوة واضحة وصريحة إلى هذا الانفتاح مع المسلمين، والتعايش الإيجابي والتواصل والتعاطف والتعاون معهم، وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت (ع) في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أسامة زيد الشحّام قال: قال أبو عبد الله (ع): «**أقرا على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد (ص).**

وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برّاً أو فاجراً، وإن رسول الله (ص) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صِلُوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فَيسُرّني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لقد

حدثني أبي (ع) إن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي فيكون زينها، أدّاهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، وإليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان إنه أدّانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[1].

وأيضا بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (ع): كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال (ع): **«تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»**[2].

وأيضا بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت له (الصادق (ع)): كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على امرنا فقال: **«تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم»**[3].

وفي رواية أخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (ع) يقول: **«عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدهم، واحبّوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره»**[4].

---

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق وتصحيح الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط5 دار احياء التراث العربي، بيروت 1983م. ج8، ص398، كتاب الحج أبواب أحكام العشرة.

(2) المصدر السابق (م، ن) (ص، ن).

(3) (م، ن)، ص399.

(4) (م، ن) (ص، ن).

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع): **«عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لا بد لكم من الناس، أن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لا بد لبعضهم من بعض»**[1].

4 ـ آليات الوحدة:

وهذه هي النقطة الرابعة من مكّونات الوحدة.

الوحدة ليست مجرد شعار وخطاب، وإنما هي مشروع عمل فقهي وسياسي واجتماعي، وهو مشروع واسع وكبير، ويحتاج إلى تظافر العقول والجهود.

ولهذا المشروع آليات علمية وعملية، ولا يتحقق الوحدة من دون توفير هذه الآليات العلمية والعملية في أجواء التعايش الإسلامي، واليك توضيحاً موجزاً عن هاتين الآليتين:

أ ـ الآليات العلميّة:

1 ـ البحث عن المساحات العلمية المشتركة بين المسلمين في الأصول والفروع والثقافة العامّة ومصادر التشريع وهي مساحات واسعة في العقائد والفقه والتفسير وعلوم القرآن، وآيات الأحكام والحديث والجرح والتعديل وأصول الفقه، وبسط الكلام فيما اتفق فيه الفريقان الكبيران من المسلمين الشيعة والسنّة.

وقد سعينا أخيراً في مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى تحقيق الكثير من ذلك في (الحديث النبوي المشترك) و(القواعد

---

(1) وسائل الشيعة، (م، س)، ج8، ص398.

المشتركة) و(التفسير المقارن) و(الرواة المشتركون في إسناد الروايات) من طريق الشيعة والسنّة، والفقه المقارن، والأصول المقارن... وغير ذلك وكانت ولله الحمد جهود مباركة آتت ثمارها سريعاً.

2 ـ تسليط الأضواء العلمية على مواضع الخلاف بين المذاهب الإسلامية. فلا يصح تسطيح الخلاف بين المذاهب الإسلامية. ولا يصح تعميق الخلاف بين المذاهب الإسلامية. وكل منهما خطأ. والصحيح هو تسليط الأضواء العلمية على مواضع الخلاف بين المسلمين في الأصول والفروع بشكل موضوعي وعلمي وهادئ.

ومن عجب أن الدراسة العلمية الموضوعية لمواضع الخلاف بين المذاهب الإسلامية في الفقه والاصولين (أصول العقائد وأصول الفقه) من عوامل التفاهم والتقارن والتعاطي العلمي وليس من عوامل الاختلاف والتنابذ... وقد جربنا كثيراً هذه الحقيقة، وحصل لنا الاطمئنان أن الأبحاث العلمية الموضوعية في مسائل الخلاف من عوامل التقارب، وليس من عوامل التباعد.

ولذلك نجد في تراثنا الفقهي نوعين من الدراسات: الدراسات (الخلافية) و(المقارنة).

فهناك فقه الخلاف مثل موسوعة الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله: كتاب (الخلاف) .

وهناك جهداً آخر في الفقه المقارن مثل موسوعة العلاّمة الحلّي رحمه الله: (تذكرة الفقهاء).

وكان من اهتمامات آية الله المحقّق السيد البروجردي رحمه الله التأكيد في دروسه الفقهية العالية على (الفقه المقارن) و(الفقه الخلافي).

3 ـ التعاطي العلمي بين علماء المسلمين من المذاهب الإسلامية

المختلفة. لقد كان بين فقهاء المسلمين وعلمائهم تعاطي علمي واسع في مواضع الخلاف الفكري والفقهي والأصولي والعقائدي، فكان يحضر فقهاء من أهل السنة عند أئمة الشيعة وعلمائهم، وبالعكس كان يحضر علماء من الشيعة عند فقهاء وعلماء من أهل السنة.

وقد حضر أبو حنيفة النعمان (80 ـ 150 هـ) عند الإمام الصادق (ع) (80 ـ 148 هـ) سنتين. واشتهر عنه في هاتين السنتين التي حضرها عند الإمام الصادق (ع)، أنه كان يقول: لولا السنتان لهلك النعمان[1].

كما حضر مالك بن أنس (93 ـ 179 هـ) في المدينة عند الإمام الصادق (ع) وكان الإمام الصادق (ع) يوليه اهتماماً خاصّاً.. وفي كتاب مالك المعروف بـ (الموطّأ) أربعون رواية عن أهل البيت (ع) وبعضها عن الإمام الصادق (ع) مباشرة.

ويروي ابن عقدة أنه كان يروي عن الإمام الصادق (ع) أربعة آلاف شيخ كلهم يحدّث عن الصادق (ع)، ويوجد في رجال الشيخ الطوسي 3223 رجلاً من هؤلاء الأربعة آلاف، والكثير منهم من رواة ومحدّثي أهل السنّة.

يقول أحد روّاد التقريب الشيخ واعظ زاده: جمعت 12000 حديثاً لأئمة أهل البيت (ع) من طرق أهل السنة وكتبهم ومصادرهم.

ومن جملة فقهائنا الكبار الشيخ المفيد رحمه الله، كان يحضر عند عدد من كبار علماء وفقهاء أهل السنّة، ومنهم أبو ياسر مولي أبي الخنيس وعلي بن عيسىٰ الرماني (296 ـ 384 هـ). وقد لقّبه الرماني بـ (المفيد) في قصّة معروفة.

---

(1) التحفة الاثني عشرية للآلوسي: 8.

وحضر السيد الشريف المرتضى علم الهدى رحمه الله على عدد غفير من علماء وفقهاء أهل السنّة، كما كان يحضر عنده عدد من علماء أهل السنّة.

روى الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي، قال: إنّي أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد[1].

وكثير منهم من رواة أهل السنة.

ولا نريد أن نتوسع في هذا المجال... فمن يقرأ تاريخ الفقه والأصولين يجد هناك تعاطياً واسعاً بين علماء مدرسة أهل البيت (ع) وعلماء المسلمين من سائر المدارس... وهذا التعاطي والتداول العلمي دراسة وتدريساً ورواية ومن أهم الآليات العلمية التي تؤدي إلى وحدة المسلمين، وقد تحدثنا عن شطر من ذلك في ترجمة الشهيد الثاني رحمه الله في مقدمة كتاب الروضة البهيّة في شرح اللّمعة الدمشقية.

ب ـ الآليات العملية:

1 ـ الطاعة:

وهي الآلية العملية الأولى... إن الذي دعانا إلى توحيد الأمة المسلمة فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾[2]، جعل (الطاعة) الأداة المفضلة الأقوى لتحقيق هذه الوحدة يقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3].

---

(1) النجاشي الأسدي،حمد بن علي، ط5، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة قم، 1416هـ. ترجمة الوشاء.

(2) سورة الأنبياء: الآية 92.

(3) سورة الانفال: الآية 46.

إن الانفلات عن الطاعة يؤدي إلى الخلاف والتنازع بالتأكيد. فان الطاعة هي التي تحفظ تماسك الأمة والموقف والكلمة... وهذه هي المعادلة الاولى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ والمعادلة الثانية أن التنازع يؤدي إلى تشتت الأمة والكلمة والموقف، وهو يؤدي إلى إفشال الموقف والقرار ﴿تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾.

والإفشال يعادل العجز والضعف والخواء وذهاب القوة ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ .

إن الطاعة هي التي تحفظ وحدة الأمة ووحدة الصف ووحدة الموقف والقرار والكلمة... وهذه الوحدات الخطيرة لا تتحقق من دون الطاعة بالضرورة... ولذلك فقد أعطى الإسلام لـ (الطاعة) قيمة كبيرة، تأتي بعد قيمة (التوحيد والإيمان) مباشرة.

و مبدأ الطاعة هو الله تعالى بالتأكيد... ولا طاعة لأحد من غير أمر الله، وطاعة الرسول (ص) من طاعة الله وبأمر الله وإذنه. ولا طاعة لمن لا يأذن الله بطاعته.

فالطاعة إذن من مقولة التوحيد. وهي قضية حقيقية.

وقد أمر الله تعالى بطاعة رسوله وأولياء الأمور من بعد رسول الله (ص) جيلاً من بعد جيل، دون أن ينقطع حبل الولاية والطاعة من المجتمع ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾[1]، وتكرار الطاعة في الآية الكريمة توحي بأن الطاعة طاعتان، طاعة في التشريع وهي الطاعة الأولى وهي لله حتى إذا كان من خلال تبليغ رسول الله (ص) وطاعة ثانية لأولياء الأمور، ورسول الله (ص) هو أول أولياء الأمور في هذه الأمة وتتسلسل من بعده الولاية في أئمة المسلمين (ع) ونوابهم.

---

(1) سورة النساء: الآية 59.

2 ـ المطاوعة:

وحيث لا يمكن الوصول إلى حد مقبول من التفاهم لتسيير أمور المسلمين... لا بد أن يلجأ المؤمنون عندئذ إلى (المطاوعة) عند فشل التفاهم إذا كان ضرر المخالفة أبلغ وأقوى على هذه الأُمّة من مطاوعة الرأي الآخر، حتى مع الإيمان بخطأ الرأي الآخر وبطلانه.

وهذه أشق مراحل العمل للمحافظة على وحدة صف المسلمين، والمحافظة على الكيان السياسي الإسلامي العام.

وقد ابتلي أمير المؤمنين (ع) بمثل هذا الابتلاء عندما أعرض الناس عن بيعته، وبايعوا أبا بكر خليفة للمسلمين، وقد شهدوا قبل زمن قصير وصية رسول الله (ص) له بالإمامة والخلافة من بعده في موقع (غدير خم)، وعرفوا موقعه من رسول الله (ص) ومن الإسلام.

ولم يكن (ع) يشك في أن الإمامة وخلافة رسول الله (ص) تراثه الذي يرثه من رسول الله (ص) باستحقاق ويقين. ولكن لما وجد أنه إذا أصر على المطالبة بحقه في إمامة المسلمين فسوف يؤدي إلى انشقاق خطير في صفوف المسلمين وائتلام كيان الإسلام السياسي... آثر المطاوعة للحالة السياسية القائمة على المطالبة بحقه.

وهذا واضح لا يمكن التشكيك في سلوك أبي الحسن أمير المؤمنين (ع) السياسي.

فلنستمع إليه يحدثنا بهذه القضية السياسية التي آلمته أشد الإيلام، وتسببت في هذا الانشقاق الكبير الذي حصل في تاريخ الإسلام.

وأنقل إليكم نصوصاً ثلاثة:

النص الاول:

«أما والله لقد تقمصها فلان وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت ارتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو اصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه.

فرأيت الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الصدر شجى أرى تراثي نهباً)[1].

النص الثاني:

(فلما مضى (ص) تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن اهل بيته، ولا انهم منحوه عني من بعده.

فما راعني الاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (ص) فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان، كما يزول السراب، وكما ينقشع السحاب»[2].

النص الثالث:

«لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ووالله لأسلمنَّ ما سلِمَت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلاّ علي خاصة. إلتماساً

---

(1) نهج البلاغة، (م، س)، ص14، الخطبة 3.

(2) (م، ن)، ص340، الكتاب 62.

لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[1].

إن المطاوعة ليست من القبول والتفهم في شيء... والإمام (ع) عندما أعلن المطاوعة وقبل بخلافة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه لم يتنازل عن حقه الذي بقي يؤكده إلى آخر حياته... وإنّما وجد مصلحة الإسلام والمسلمين ومصلحة الكيان السياسي للإسلام أن يطاوع ولاية الخلفاء الثلاثة، فكان (ع) يتعاون معهم ويقدم لهم الاستشارة ـ من موقع الصدق والنصح ـ وينصح لهم الرأي، وطالما قال الخليفة الثاني (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)[2].

ويخفى على كثير تفسير التقية ووجهها، فيتصورون أن صاحب التقية يمارس وجهين في خياراته، وجهاً يؤمن به ووجهاً آخر يتظاهر به وليس الأمر كذلك.

بل التقية مطاوعة في السلوك السياسي والعبادي والعقدي (المعاملات) لإبراز الوجه الواحد للأمة الإسلامية في السلوك العبادي والسياسي (في قاعدة التقية) وللإعلان عن قبول التعددية في المذهب الفقهي وتقنين التعايش الفقهي ما بين المذاهب الإسلامية في (قاعدة الإلزام والالتزام).

ويدل على ذلك أنّ مشروعية التقية لا تقتصر على حالة الخوف والاضطرار... بل يشمل حالات المداراة العبادية والسياسية.

ويدل على ذلك أيضاً أن العبادة التي يأتي بها المسلم تقية لا تحتاج إلى إعادة أو قضاء في الوقت وخارج الوقت، عند انتفاء عامل التقية.

---

(1) نهج البلاغة (م، س) ص61، خطبة 74.

(2) الطبري، أحمد بن عبد الله: ذخائر العقبىٰ، (لا، ط)، مكتبة القدسي، القاهرة، 1356 هـ. ص80 وما بعدها، ومسند احمد بن حنبل (م، س) ج2، ص647.

فإن العمل قد وقع صحيحاً، ولا يحتاج إلى إعادة[1].

ومهما يكن من أمر فإن قاعدة التقية في الشريعة نحو من المطاوعة في السلوك السياسي والعبادي.

3 ـ التعاون على البر والتقوى:

يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[2].

عن الإمام الصادق (ع): «**تواصلوا وتباروا وكونوا اخوة برره كما أمركم الله عز وجل**»[3].

وعنه (ع): «تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وتعاطفوا»[4].

4 ـ التناصر بين المسلمين:

وهو من شروط الولاء، ومن وجب ولاؤه من المسلمين تجب نصرته كلما احتاج إلى النصرة واستنصر المسلمين يقول (ص) «**من**

---

(1) يعبر علماء الاصول عنه بالحكومة الواقعية. وحكومة دليل على دليل آخر على نحوين حسب اختلاف الدليل الحاكم. فإذا أمكن الدليل الحاكم حكماً ظاهرياً كانت الحكومة ظاهرية. كما في موارد الجهل والنسيان، وإذا كان الدليل الحاكم حكماً واقعياً كانت الحكومة واقعية كما في موارد التقية وخوف الضرر والاضطرار فإن الحكم برفع الأحكام الأولية في هذه الموارد حكم واقعي ثانوي ولذلك يجزي العمل بالتقية المكلف عن الإعادة والقضاء بعد ارتفاع التقية.

(2) الكافي (م، س)، ج22 ص175.

(3) (م، ن) (ص، ن).

(4) سورة المائدة: الآية 2.

أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم. ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»[1].

5 ـ ملازمة جماعة المسلمين:

خطب رسول الله (ص) في حجة الوداع في منى بمسجد الخيف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال «**نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها فبلغها من لم يبلغها فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.**

ثلاث لا يَغِلُّ عليهن قلب امرئ مسلم، إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم»[2]، ولزوم جماعة المسلمين وعدم مفارقتهم في السراء والضراء يؤدي إلى توحيد الساحة الإسلامية بالضرورة.

وقال(: (**المسلمون أخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم)**[3].

---

(1) الطبرسي، رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل: مكارم الأخلاق، ط6، منشورات الشريف الرضي، 1972م. ص143.

(2) ميزان الحكمة (م، س) ج3 ص2291، وقريبا منه كنز العمال (م، س) ج10، ص220.

(3) بحار الأنوار (م، س)، ج67، ص204.

أركان الوحدة السبعة

وإذا تحدثنا عن العناصر المقوّمة للوحدة، فلا بدَّ أن نتحدّث بإيجاز عن أركان الوحدة.

وحدة الأمة:

وحدة الأمة مقتبسة من قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾[1].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾[2].

إن هذه الأمة أمة واحدة، وليست أمَماً شتّى.

فما معنى وحدة الأمة؟

هذه الوحدة تتضمن مجموعة من الوحدات هُنَّ مقومات الوحدة وأركانها:

---

(1) سورة المؤمنون: الآية 52.

(2) سورة الأنبياء: الآية 92.

الوحدة الاولى: وحدة الألوهية والعبودية:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾[1].

ووحدة الألوهية ووحدة العبودية هي أهم هذه الوحدات جميعاً وأساسها.

الوحدة الثانية: وحدة الولاية:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

إن الولاء الحق لله تعالى وحده، ولمن يأمر الله تعالى بولائه... وهذا الولاء الأخير يأتي في امتداد الولاء لله تعالى، فهو ليس شيئاً آخر غير الولاء لله... الولاء من مقولة التوحيد، وتوحيد الولاء من مقومات وحدة الأمة... وتعدد الولاءات بمعنى تعدد الأمة بالضرورة.

الوحدة الثالثة: وحدة النسيج الاجتماعي للولاء:

فإن للولاء بعدان بعد عمودي وبعد أفقي.

والبعد العمودي هو الولاء لله ولرسوله ولمن يتولى أمور المسلمين من بعد رسول الله (ص) من أئمة المسلمين (ع).

والبعد الآخر هو البعد الأفقي للولاء.

وهذا الولاء يربط المؤمنين بعضهم ببعض في شبكة ولائية واحدة، لا تنفصم ولا تتفكك ولا تتجزأ.

إن الأمة الواحدة يربط بعضها ببعض رباط واحد من الولاء

---

(1) سورة التوبة: الآية 31.

(2) سورة المائدة: الآية 55.

وهذا الرباط يكون بأمر الله تعالى وإذنه... وهو أيضاً من مقولة التوحيد.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1].

هم نسيج واحد، على اختلاف لغاتهم وأوطانهم، لا يحجز بعضهم عن بعض لغة ولا إقليم، ووجه الأرض وطن واحد لهم، أينما حلّوا.

و في مقابل ذلك: الذين كفروا بعضهم من بعض، لحمة واحدة في الكفر وعداء المؤمنين، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[2]

هذان نسيجان وولاءان، منفصلان.

وأما الخطوط الحمراء والخضراء والصفراء على خرائط الجغرافيا السياسية، فهي مما ابتدعه الناس والحكّام في حياتهم، وليس من الولاء في شيء بحكم القرآن يقول تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾، وإنما للحصر ولا ولاء بعد الولاء لله لأحد إلاّ بأمر الله تعالى.

إذن الأمة واحدة، نسيج واحد من الولاء بالضرورة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

الوحدة الرابعة: وحدة الطاعة السياسية:

والطاعة طاعتان: طاعة الله وطاعة رسوله (ص) وأولياء الأمور من بعده... والطاعة الثانية غير الطاعة الاولى، ولذلك ورد ذكر

---

(1) سورة الأنفال: الآية 72.

(2) سورة الأنفال: الآية 73.

الطاعة في الآية الكريمة مرتين، الطاعة الاولى لله، وهي في التشريع والعبودية والتقوى ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ وهذه الطاعة، لله تعالى، كما قلنا، حتى لو كان التبليغ من رسول الله (ص) وخلفائه (ع) وهو قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

والطاعة الثانية لأولياء الأمور، وهي الطاعة السياسية والإدارية، وهي لأولياء الأمور، وهم رسول الله (ص) وخلفاؤه من بعده وهم أئمة المسلمين.

وأولهم وعلى رأسهم رسول الله (ص) وهو قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾[1].

ووحدة الطاعة تستبطن وحدة القرار، ووحدة النظام السياسي، ووحدة الصف ووحدة الكلمة والموقف السياسي... وهذه الوحدات هي من مقومات الوحدة الإسلامية وأركانها.

الوحدة الخامسة: وحدة البراءة:

وهي الوجه الآخر لوحدة الولاء، ولا ينفك الولاء عن البراءة، إن الولاء، من دون البراءة، أمر يسير لا يحمّل صاحبه جهداً كبيراً، فإذا انضمت البراءة إلى الولاء، وتكامل الولاء بالبراءة فلا يتحملها إلا ذو حظ عظيم.

والبراءة هي المفاصلة الكاملة عن أعداء الله وأعداء رسول الله (ص) وخلفائه (ع) وأمته ودينه الذي جاء به من عند الله.

وهذه المفاصلة واحدة، كما أن الولاء واحد، وهي واجبة، كما أن الولاء واجب ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾

(1) سورة النساء: الآية 59.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾[1].

ووحدة البراءة من مقومات وحدة الأمة.

وتتجسد هذه الوحدة اليوم في توحيد موقف البراءة السياسي والاقتصادي والعسكري والإعلامي والثقافي من أمريكا وإسرائيل ومن يمتّ إليهما بصلة، من الكيانات الاستكبارية الكافرة التي تعلن العداء لله ولرسوله (ص) وللإسلام والمسلمين.

إن وحدة الولاء والبراءة، ووحدة الطاعة السياسية توحد موقف الأمة السياسي من الأعداء والأصدقاء ومن قضاياها السياسية المحورية، وتنقذها من التشتت في الموقف والقرار.

الوحدة السادسة: وحدة المسؤولية والرقابة الشاملة:

عن رسول الله (ص): «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[2].

وعن رسول الله (ص): «**من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه، فليس بمسلم**»[3].

و عن رسول الله (ص): «**من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم**»[4].

والمسؤولية المراقبة الشاملة للمسلمين، جميعاً، تجاه المسلمين جميعاً، من أبرز مظاهر وحدة هذه الأمة. وبها تتجسّد وحدة الأمة في الاهتمام والتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) سورة الكافرون: الآيات 1 ـ 6.

(2) السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981م، ج2، ص. 158 وصحيح البخاري (م، س)، ج1، ص215.

(3) وسائل الشيعة (م، س)، ج11، ص 108.

(4) مكارم الأخلاق: (م، س) ص143.

يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

وهذه المراقبة الاجتماعية الشاملة، مراقبة الكل للكل والجميع للجميع، ليس فقط يوّحد هذه الأمة، ويجعلها أمة واحدة، وإنما يجعلها أيضاً ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

الوحدة السابعة: وحدة الحصانة والحرمة:

فان كل مسلم حرام على كل مسلم، ماله، ودمه، وعرضه.

عن رسول الله (ص): «**كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه**». سنن الترمذي / وسنن ابن ماجة ومسند احمد.

وعن رسول الله (ص): «**كل مسلم على مسلم محرم**». رواها المحدثون والحفاظ من الفريقين.

وخطب رسول الله (ص) المسلمين في منى عام حجة الوداع وقال: «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم القيامة، ألا هل بلغت**»؟ وهذه الحرمة الشاملة والحصانة الشاملة الواسعة لكل مسلم على كل مسلم يحصّن المسلمين جميعاً بعضهم من بعض...

عن الإمام الباقر (ع) عن رسول الله (ص) «**ألا انبؤكم بالمؤمن؟ المؤمن: من ائتمنه المؤمنون على أموالهم وأمورهم. والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمهاجر من هاجر من السيئات**»[2].

هذه سبعة وحدات هي أركان الوحدة في الأمة الإسلامية الواحدة.

---

(1) سورة آل عمران: الآية 110.

(2) البرقي، أحمد بن محمد: المحاسن، (لا، ط)، دار الكتب الاسلامية، طهران 1370 هـ ج1، ص285.

الأمَّـة الواحـدة

في مواجهة الفتنة الطائفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

(92) سورة الأنبياء

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾

(52) سورة المؤمنون

الفتنة الطائفية

الفتنة الطائفية بين المسلمين اليوم حقيقة قائمة على وجه الأرض، لا يمكن تجاهلها، ولا يجوز التغاضي عنها، ولا يصح التسامح معها.

هذه الفتنة قائمة في كل زمان، وقلما يتفق أن يخلو عنها زمان، ولكنها اليوم تختلف من أي وقت مضى في تاريخنا المعاصر على الأقل.

إن الفتنة الطائفية اليوم تتفجر في العراق، وباكستان، وأفغانستان، وأقاليم أخرى من العالم الإسلامي أكثر من أي وقت آخر، وتتسبب في مذابح وحرائق وانتهاك للحرمات وتكفير للمسلمين من أهل القبلة وأهل (لا إله إلاّ الله)، من غير ذنب.

وأضرى مشاهد هذه الفتنة في العراق، حيث تجري يومياً مذابح همجية، فاقدة لكل قيم الدين والأخلاق، في المحافظات المختلطة ـ مذهبيّاً ـ يجري القتل على الهوية، وعلى الاسم، والانتماء، والمحافظة التي ينتمي إليها الإنسان، ويتم تهجير آلاف العوائل من المناطق المختلطة الساخنة، بسبب الانتماء المذهبي فقط.

ويجري في العراق تفجير السيارات المحمّلة بأطنان من المواد المتفجرة، الشديدة الانفجار، بين النساء والأطفال وطلاب المدارس والباعة المتجولين على أرصفة الشوارع والأسواق.

وليس أبشع من أن تتفجر سيارة من هذه المفخّخات على مسير الأطفال، وهم عائدون من المدرسة إلى بيوتهم، بحقائبهم المدرسية فتتناثر أجسامهم وكتبهم وأقلامهم على مساحة واسعة من الأرض.

أو تتفجر على مدخل الجامعة، حيث ينصرف الطلاب والطالبات إلى بيوتهم، أو تتفجر مفخّخة من هذه المفخّخات على باب مسجد أو حسينية مكتظة بالمصلين وقت أداء الصلاة.

وكان أبشع ما في هذه المناظر تفجير مرقد الإمامين العسكريين (ع)، بتلك الصورة البشعة التي شاهدها الناس على صفحات الفضائيات مرتين خلال هذه الفترة القصيرة.

إن الفتنة الطائفية اليوم تجري على صعيد واسع، وبآليات متطورة، والفضائيات التي تجتذب أوسع المشاهدين في العالم العربي والإسلامي، والصحف الواسعة الانتشار، جزء من الآليات التي تساهم في إشعال هذه الحرائق.

فضائيات، وصحف واسعة الانتشار، وبيانات في الحج، ومؤتمرات هنا وهناك، وهيئات تتحرك من بغداد، إلى بلاد شتّى، لإثارة العواطف المذهبية بين المسلمين في العالم، وتعميق الفجوة بين المذاهب الإسلامية.

وتزلزل في هذه الفتنة علماء ودعاة كنا نعرفهم بمواقفهم ومواقعهم المعتدلة، تزلزلوا عن خط الاعتدال إلى خط التطرف الطائفي، مع الأسف. ولو أنك دخلت إلى شبكة (الإنترنت) أو دخلت غرفة من غرف التراشق الطائفي (البالتوك)... تعرف أننا نواجه

محرقة واسعة وفتنة واسعة من أضرى ما عرفه التاريخ الإسلامي من الفتن بين المسلمين.

وإن كل الجهود التي بذلها علماء المسلمين من الشيعة والسنة خلال هذا القرن للتقريب بين المسلمين يتعرض لتهديد وخطر حقيقيين، وإن لم يعصمنا الله من هذه الفتنة ويتصدى رجال من المسلمين لمواجهة هذه الفتنة وإحباطها والسيطرة عليها... لأصابنا من هذه الفتنة شرّ كثير.

وسوف نتحدث في هذا المقال عن هذه الفتنة في ثلاث نقاط:

1 ـ آثار هذه الفتنة على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله.

2 ـ أسباب الفتنة وخلفياتها.

3 ـ علاجها ومكافحتها.

وفيما يلي مرور سريع، لغرض التنبيه والتذكير بهذه النقاط الثلاث:

الآثار الحالية والمستقبلية للفتنة

لسنا نحتاج إلى توقف كثير لمعرفة الآثار التخريبية للفتنة الطائفية في حياتنا السياسية والثقافية في العالم الإسلامي.

فإن لهذه الفتن تاريخ طويل، ومن يُلمّ بهذا التاريخ يعرف الأخطار الكبيرة الناجمة من هذه الفتن.

هذه الفتن سريعة الاشتعال.

صعبة الإخماد.

خسائرها واسعة وكبيرة.

تتسع رقعتها بسرعة.

لا تندمل جراحها إلاّ بعد زمن طويل وبجهد كبير.

تكتسح حتى الطبقة الواعية المعتدلة.

تسلب الاعتدال والتوازن والرؤية الموضوعية حتى من دعاة الاعتدال، إلاّ من عصم الله.

يقول أمير المؤمنين (ع): «**إن الفتن إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت**

نبّهت»[1]... وهو مما ذكرناه: أن هذه الفتن تسلب الرؤية الموضوعية والاعتدال، حتى من أصحاب الرؤى الموضوعية ومن أصحاب الاعتدال.

وأول هذه الخسائر إحباط مشاريع التقريب والتوحيد الذي أنجزه العلماء وقادة المسلمين في هذا القرن والقرن الذي مضى مثل السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ سليم البشري والشيخ محمود شلتوت شيخي الأزهر الشريف والسيد البروجردي والشيخ حسن البنّا وكاشف الغطاء، والإمام الخميني رحمهم الله ونظرائهم من دعاة التقريب والتوحيد.

وقد دفع هؤلاء ضريبة كبيرة من أجل رفع شعار التقريب والدعوة إليه.. صحيح أنَّ الشيعة استقبلوا خطاب الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بالترحيب والتهليل، ولكن شيخ الأزهر دفع ثمناً كبيراً لهذه الفتوى الجريئة في الاوساط السُّنية الرافضة لفكرة التقريب، وكذلك العكس بالنسبة إلى دعاة التقريب في المجتمع الشيعي وما تواجهه هذه الدعوة من التشكيك والرفض في بعض الأوساط الشيعية الرافضة لفكرة التقريب.

إنَّ الفتنة الطائفية، إذا اشتعلت فيما بين المسلمين تحبط هذه المشاريع الكبيرة، التي تمت على يد هؤلاء الأعلام من دعاة

التوحيد والتقريب.

والخسارة الثانية إحباط المشروع السياسي الإسلامي الكبير، وهي خسارة كبرى في حياة الأمة... إن الإسلام اليوم يدخل في

(1) نهج البلاغة، (م، س)، الخطبة 93. شبهت: اشتبه فيها الحق بالباطل، وإذا أدبرت وخلص الناس منها تميز حقها من باطلها.

مواجهتين صعبتين، من الخارج والداخل، مواجهة أنظمة الاستكبار العالمي، مثل النظام الأمريكي وإسرائيل، من الخارج، ومواجهة عملاء الاستكبار العالمي في العالم الإسلامي، من الداخل... والمشروع الإسلامي السياسي في هاتين المواجهتين هو إنهاء النفوذ الاستكباري في العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، وأسلمة الأنظمة الحاكمة تبعاً لإرادة الأمة في العالم الإسلامي... إن الإسلام اليوم يقود أوسع معارضة في التاريخ للنفوذ الاستكباري في عالمنا... وهذا المشروع السياسي الكبير الذي نعرفه اليوم في الشرق الأوسط وفي شمال إفريقيا وغربها، وفي أفغانستان وباكستان، وتتسع دائرته لتشمل مناطق واسعة من آسيا الوسطى، وجنوب شرق آسيا... أقول: إن الفتنة الطائفية التي تشتعل اليوم في العالم الإسلامي تهدد هذا المشروع السياسي الكبير بالإحباط الكامل ...

وانهدام المشروع السياسي الإسلامي بمعنى الإبقاء على نفوذ الاستكبار الغربي، وحماية العدوان والاحتلال الإسرائيلي، وتمكين الأنظمة العميلة للغرب في مواقع النفوذ والسلطة في العالم الإسلامي، واستمرار عمليات النهب والسلب لثروات المسلمين من قبل الغرب، والإبقاء على حالة التخلف والتبعية للغرب، في كل شيء، في عالمنا الإسلامي، وإبقاء الشرق الإسلامي مصدراً للغرب في المواد الخام التي يحتاجها في تصنيعه وسوقاً استهلاكياً واسعاً لمنتجاته.... الخ.

إن إحباط المشروع السياسي الإسلامي الكبير يعني قبول هذه الخسائر جميعاً.. والفتنة الطائفية التي تشتعل اليوم في بلاد عريضة من العالم الإسلامي تهديد حقيقي للمشروع السياسي الإسلامي.

امض حيث شئت من العالم الإسلامي تجد وعياً وشعوراً بالمسؤولية، وإيماناً بضرورة عودة الإسلام إلى الحياة، وانتفاضة على

الظالمين المستكبرين، وحركة سياسية، وثورة إسلامية، ووعيا جمعياً بالدور التخريبي الغربي في العالم الإسلامي في السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام، وإيماناً بفشل كل المشاريع السياسية والحضارية التي تعاقبت علينا من الشرق والغرب، ووعياً لضرورة العودة إلى الذات، بعد غياب طويل للمسلمين عن أنفسهم وتاريخهم، وتراثهم وثقافتهم وانحرافهم عنها... هذه المجموعة وغيرها هي النقاط التي تشكل من حيث المجموع الصحوة الإسلامية الكبيرة، وهي صحوة مباركة، جاءت بعد خمول وخمود طويلين.

وإذا مضت هذه الفتنة في أوساطنا، واتسعت رقعة الحرائق التي تؤجّجها هذه الفتنة، فلن يبق من هذا المشروع ما يكفي للنهوض بالمسلمين.

إن هذه النهضة الكبيرة لا تتكون في فراغ سياسي وثقافي، وإنما تنشأ وتتكامل في أجواء التعاون والتآزر، والتعامل المشترك والموقف الواحد بين المسلمين.

والفتنة الطائفية اليوم تثير الحرائق الطائفية الواسعة في أجواء التعاون والتآزر والتعامل المشترك بين المسلمين وتنقضها وتفسدها،ولا تبقي ولا تذر منها شيئاً.

وهذه الفتنة لا تفصل فقط الشيعة عن السنة، وإنما تفصل السنة بعضهم عن بعض، وتجعل المسلمين أمماً شتى، وهذا هو الذي تطلبه أنظمة الاستكبار العالمي.

والخسارة الثالثة تعطيل الترافد الثقافي بين المسلمين... إنّ ساحتنا الثقافية اليوم تشهد ترافداً ثقافياً واسعاً بين المسلمين، وشهدت انتعاشاً ثقافياً محسوساً بسبب هذا الترافد وإثراء للثقافة الإسلامية المعاصرة.

وإذا اجتمعت العقول... تأتلف القلوب كذلك، كما أن العكس صحيح أيضاً.

فكان لهذا الترافد الثقافي دور كبير في تأليف قلوب المسلمين.

والفتنة الطائفية اليوم تعيد الحواجز النفسية والثقافية بين المسلمين مرة أخرى، وتعزل الثقافة الإسلامية بعضها عن بعض... بل تتجاوز هذه الخسارة إلى خسارة أعظم من ذلك، وهي استبدال حالة الترافد الثقافي بالتقاطع الثقافي وثقافة التقاطعات... كما حصل ذلك بين المسلمين في شبه القارة الهندية أيام الاحتلال الإنجليزي.

أسباب الفتنة

أ ـ دور الاستكبار العالمي في إثارة الفتنة الطائفيّة

من الخطأ أن ننظر إلى هذه الفتنة نظرة تجريدية سطحية معزولة عن الأسباب والخلفيات التي تكمن وراءها، وبمعزل عن اللعبة السياسية الدولية التي تمارسها أنظمة الاستكبار الغربي في العالم الإسلامي.

إن الآثار التخريبية والحرائق الواسعة التي تتعقب كل فتنة طائفية، وسهولة إشعال هذه الحرائق في الفتنة في لحظات الغفلة والانفعال... مما لا يمكن أن تغيب عن عيون دهاة الاستكبار العالمي.

ولجملة من هذه الأنظمة مثل الإنكليز والفرنسيين والبرتغال والإيطاليين تجارب وخبرات كثيرة في حقل الفتن الطائفية. وبعض هذه الأنظمة وإن اختفى دورها الاستكباري تماماً أو بعضاً في الشرق، إلاّ أنها أورثت تجاربها في هذا الحقل للنظام الأمريكي الذي يحمل اليوم شعار الانفراد بالقوة والسيادة والسلطة والاستكبار على وجه الأرض.

ولا تعجب إذا هدّد السفير الأمريكي (انديك) العالم الإسلامي باستخدام كل الأوراق الاستكبارية حتى إثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين.

فلا يمكن أن نكوّن رؤية علمية دقيقة عن هذه الفتنة وندرس الأساليب العلمية لمواجهتها من دون أن نأخذ بنظر الاعتبار دور الاستكبار العالمي في إثارة هذه الفتنة.

إن العراقيين يتحدثون عن شواهد كثيرة عن دور الأمريكان في إثارة الفتنة الطائفية، وحماية العصابات المسلّحة في ديالى، والمدائن، وتلّعفر، وبلد.

وقد قال لي شاهد عيان: بعد انفجار شاحنة الطحين في تلّعفر عندما اجتمعت العوائل عندها ليأخذوا حصصهم من الطحين الذي انقطع عنهم لفترة طويلة... فانفجرت الشاحنة وتطايرت جثث الأطفال والنساء والرجال الذين اجتمعوا حول الشاحنة ليستلموا حصتهم من الطحين.. تراكض الناس من كل صوب لانتشال من يمكن انتشاله من الجرحى والمدفونين تحت الأنقاض، فرشقهم القناصة بوابل من الرصاص، ليحدثوا مذبحة ثانية في جماعات الإنقاذ بعد الانفجار.

ولشدّ ما عجبنا أنّنا رأينا أن الأمريكان يمنعون الشرطة الذين كانوا يحمون الناس من القناصة.. ويقومون بإبعاد الشرطة عن الموقع، واعتقالهم، ليواصل القناصة المرحلة الثانية من المذبحة في جماعات الإنقاذ بدون مشكلة.

واعتقل الأمريكان رجال الشرطة أربعاً وعشرين ساعة، وتمّ الإفراج عنهم بعد ظهر اليوم التالي ـ الأربعاء ـ الساعة الواحدة، وعلى وجوههم آثار الإرهاق، وكانوا يقولون: إن الأمريكان حاسبونا حساباً عسيراً على حماية الناس، ولما كنا نقول: إننا لم نزد على

أداء الواجب في الرد على مصادر النار... كان الأمريكان يقولون: ... دعوا الجرحى يموتون تحت الأنقاض... هكذا على الطريقة الأمريكية المعروفة!!!

وقد تهدم في هذا الحادث 85 بيتاً من بيوت الشيعة التركمان و25 محلاً للمبيعات لهم في تلّعفر، وتم قتل وجرح 520 منهم اجتمعوا ليأخذوا حصتهم من الطحين بعد قطع الطحين عنهم عدة أيام، وقدّر أصحاب الاختصاص كمية المواد المتفجرة التي تم تفخيخ الشاحنة المحملة بـ (المادة المتفجرة المعروفة ت. أن. ت)بعدّة أطنان.

والقصة معروفة في مدينة تلّعفر ولا زال يعيش في المدينة مئات الشهود الذي شاهدوا هذا المشهد الإجرامي البشع.

إن للأمريكان حضوراً محسوساً في حوادث العنف الطائفي، ولهم دور معروف في إثارة الفتن الطائفية، ولا زال العراقيون يذكرون حادث اقتحام الأمريكان لحسينية المصطفى في بغداد، وما ترتب على ذلك من قتل وجرح وترويع للناس وتهديم للبناء، وإحراق وإتلاف لمكتبة الحسينية، ولم يعتذر الأمريكان عن جريمتهم في الحسينية قط، كما لم يعتذروا عن جرائمهم السابقة واللاحقة.

وجدار الفصل الطائفي حول الأعظمية الذي أثار غضب الشيعة والسنة معاً، هو الآخر من جملة الخطط الأمريكية في العراق لتعميق الحالة الطائفية.

إنّ الأمريكان يعملون باتجاه تثبيت الحالة الطائفية وتعميقها.. وهم يعتقدون أن فرض السيطرة الأمريكية على العراق من خلال اللعبة الطائفية أيسر لهم وأقوى من أيّة آليّة أخرى.

النهضة الإسلامية المعاصرة:

إن الحالة الإسلامية المعاصرة التي نعاصرها أكثر من (الصحوة) ويصحّ تسميتها بـ (النهضة الإسلامية)... ولهذه النهضة درجات مختلفة من الوعي، والصحوة، والحركة، والمعارضة، والانتفاضة، والثورة، والدولة في مختلف أقاليم العالم الإسلامي.. والذي يتابع تطوّرات الموقف السياسي والحركي في العالم الإسلامي لا يشك أن الأمة الإسلامية تدخل طوراً جديداً من تاريخها السياسي والحضاري... تُعِدُّها إن شاء الله لما وعدنا الله تعالى به في التوراة والزبور والقرآن ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ[1] أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[2].

ولا يخفى على غرف الرصد التابعة لأنظمة الاستكبار العالمي هذا التطور الكبير وهذه القفزات النوعية في العالم الإسلامي.

ولا شك أنهم يراقبون هذه النهضة باهتمام وقلق، ولا شك أنهم يشعرون بالخطر المقبل عليهم قريباً، ويشعرون أن المستقبل ليس في صالحهم، وأن العالم الإسلامي في سبيله للتحرر من سلطان النفوذ الغربي بالكامل، وأن المسلمين إذا تحرروا من نفوذ الغرب، فلن يستطع الغرب أن يحافظ على موقعه السياسي والاقتصادي والعسكري في العالم... ولا شك أنهم يفكرون ويخطّطون لإحباط هذه النهضة السياسية والثقافية وتخريبها.

وإثارة هذه الفتنة الطائفية هي الأداة المفضلة عندهم لإحباط هذه النهضة الإسلامية الكبيرة.

---

(1) الذكر هنا التوراة.

(2) سورة الأنبياء: الآية 105.

وكان من أبرز أحداث هذه النهضة الكبيرة خلال هذا القرن والقرن الذي مضى:

• تحرير أجزاء واسعة من العالم الإسلامي من الاحتلال العسكري لأنظمة الاستكبار الغربي.

• ظهور وانتعاش الحركة الإسلامية في مصر وشمال غرب إفريقيا وغيرها، وفي الشرق الأوسط، من الجزء السني من العالم الإسلامي، وظهور وانتعاش الحركة الإسلامية في الجزء الشيعي من العالم الإسلامي في إيران والعراق ولبنان وباكستان وأفغانستان.

• فوز الإسلاميين في الانتخابات التشريعية والبلدية واستلامهم للحكم، حتى وإن كان الحكم غير إسلامي، كما حصل ذلك في الجزائر، والسودان، وتركيا، وفلسطين، والعراق بعد سقوط نظام صدام، وهو يعبر عن ثقة الناس بالإسلاميين بعد أن فشلت كل المشاريع السياسية التي دخلت العالم الإسلامي عموماً، والعالم العربي بالخصوص.

ولا يضرّ بما نقول إجهاض المشروع الإسلامي في الجزائر على يد الجيش، وإجهاض المشروع الإسلامي في تركيا على يد العسكر الذي لا زال يحافظ على ولائه للنهج الأتاتوركي العلماني في الحكم، فقد تمكّن الإسلاميون في تركيا من كسب أكثر المواقع البرلمانية وكسبوا في هذا السِّجال السياسي رئاسة الحكومة ورئاسة الدولة (رئاسة الجمهورية).

وما صنعه الإسلاميون في تركيا بعد سجال سياسي طويل من الممكن أن يصنعه الإسلاميون في الجزائر، لو أعادوا النظر في أساليبهم الحركية، وطريقة تعاملهم مع الناس والواقع السياسي من حولهم.

• ويقع في هذا السياق فوز الإسلاميين في فلسطين (حماس) في الانتخابات التشريعية، وكسبهم لأكثرية المقاعد البرلمانية وبالتالي استلامهم للحكم من خلال الأكثرية البرلمانية.

وكان الناس يتصورون أنّ (حماس) سوف تفقد مبادئها في العمل السياسي والحركي إذا استلمت الحكم، إلاّ أن حماس أعلنت منذ أول يوم بثباتها على مبادئها السياسية والحركية بشجاعة، ورغم كل الضغوط التي مارستها إسرائيل وأمريكا والاتحاد الأوروبي على حماس لم تغير موقعها السياسي، وتحمّلت ظروف الحصار الاقتصادي الصعب، وانشطار الدولة بين الحكومة ورئاسة الجمهورية، ولم تتنازل عن مبادئها السياسية، وأصرّت على إعلان رأيها بحق الشعب الفلسطيني المشروع في المقاومة، ورفض الاعتراف بشرعية إسرائيل، ولم تتحول يوماً لاءاتها إلى (نعم)، كما تحوّلت لاءات الأنظمة العربية إلى التطبيع مع إسرائيل والإقرار بشرعية حضورها الدولي.

• وكان من هذه الأحداث التي شكّلت قفزة كيفية في الساحة الإسلامية انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رَحِمَهُ الله، وسقوط حكومة أسرة بهلوي، وقيام الجمهورية الإسلامية، وبذلك تتم ولادة الدولة الإسلامية الأولى في التاريخ المعاصر.

ولا أزال أتذكر تأثير انتصار الثورة الإسلامية، وقيام الجمهورية الإسلامية في انتعاش الحالة الإسلامية في كل العالم الإسلامي، وانتعاش الأمل في نفوس شباب وقيادات الحركة الإسلامية في العالم، ومتابعتهم اليومية ـ بل في كل ساعة ـ لأحداث الثورة في طهران بلهف وشوق وترقّب.

كان لانتصار الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية تأثير

كبير في رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوحيد الكلمة، ورص الصف.

وقد كان قائد الثورة رَحِمَهُ اللَّهُ من المؤمنين بالوحدة والتقريب، وكان يعلن رأيه هذا إعلاناً، ويدعو المسلمين إلى إزالة الحواجز النفسية فيما بينهم، والوقوف صفّاً واحداً إزاء التحديات الأمريكية والإسرائيلية.

- وكان من هذه الأحداث انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان (حزب الله) على إسرائيل مرتين خلال ست سنوات.

في المرة الأولى انسحبت إسرائيل من الجنوب اللبناني، وفي المرة الثانية قبلت قرار مجلس الأمن مرغمة بعد ثلاثة وثلاثين يوماً من القتال الضاري لحزب الله... وخرج (حزب الله) من هذه الحرب الضارية مرفوع الرأس، وخرجت إسرائيل مثقلة بتبعات كثيرة، تهدد الحكومة بالسقوط.

وكان لانتصار (حزب الله) أثر واسع في إعادة إشراقة الأمل في نفوس المسلمين، وسط محاولات التطبيع في العلاقات بين إسرائيل والأنظمة العربية، والاعتراف بشرعيتها، والهزيمة النفسية للأنظمة العربية تجاه إسرائيل.

وكان لانتصار حزب الله على إسرائيل أثر كبير في العالم الإسلامي في رصّ صفوف المسلمين. وانطلق المسلمون في كل عواصم العالم الإسلامي وحواضره من طاشقند وبخارى وسمرقند إلى جاكارتا وماليزيا، ومن دلهي وبمبي في المشرق الإسلامي إلى طنجة والدار البيضاء في المغرب العربي لتأييد وإسناد حزب الله، وتساقطت في فترة وجيزة الحواجز النفسية بين المسلمين، وتدافع الشباب في عمّان ودمشق وبغداد وإسلام آباد والكويت وطهران

والمنامة والقاهرة والجزائر ومسقط يهتفون بحياة حزب الله، وسقوط إسرائيل، ويطالبون أنظمتهم بالسماح لهم للمشاركة إلى جانب حزب الله في قتال إسرائيل.

وكان هذا التضامن الإسلامي الواسع والسقوط السريع للحواجز الطائفية إنذاراً لقوى الاستكبار العالمي. فماذا تستطيع إسرائيل أن تصنع إذا تضامن المسلمون جميعاً ضد الكيان الإسرائيلي؟ إن إسرائيل التي عجزت عن مقاومة جماعة إسلامية «مقاومة» صغيرة في لبنان فهي أعجز تجاه الأمواج العارمة للأمة الإسلامية برمّتها.

لقد كان الاستكبار بحاجة إلى حركة سريعة لاستعادة الحواجز النفسية وتشتيت الصف الإسلامي بأي ثمن، وبأي خطة... وقد وجدنا يومئذ كيف بدأت أمواج الفتن السياسية والطائفية تلتهب في العالم الإسلامي.

إن هذه الحوادث كان لها دور مباشر وغير مباشر في إزالة الحواجز الطائفية بين المسلمين، وإعادة الوئام والانسجام إلى الصف الإسلامي، وإشعار المسلمين جميعاً سُنة وشيعة بأنهم أمة واحدة، يفرح بعضهم بما يرزق الله البعض الآخر من نصر، ويحزن بعضهم بما يحل على البعض من مصيبة ورزء.

لقد كان الاستكبار بحاجة إلى حركة سريعة لاستعادة الحواجز النفسية التي بدأت تتهاوى بين يدي أمواج انتصارات المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان... لتشتيت الصف الإسلامي بأي ثمن.

إنَّ هؤلاء يملكون حسّاً مرهفاً يحس بالخطر بصورة مبكرة، من بعيد... وقد تحركت هذه المرة أجراس الخطر في أصول آذانهم، فهبوا مرّة واحدة لإبطال مفعول انتصارات حزب الله.

وكنا نتوقع يومئذ أن تبادر أمريكا وإسرائيل وحليفاتها في الغرب إلى تصعيد موجة الفتنة الطائفية في الشرق بشكل غير اعتيادي... وهؤلاء لهم وسائل وأدوات وعملاء ومناهج وبرامج في التلفاز والفضائيات لتصعيد موجة الفتنة بين المسلمين، وأضيف إليها اليوم التكفير، والتفجير، والتفخيخ، والذبح.

كلمة الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي

يصف الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي رَحِمَهُ اللهُ انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رَحِمَهُ اللهُ وتأثير هذا الانتصار في انتعاش الآمال والنفوس من أبناء الحركة الإسلامية، الخيبة الكبيرة التي أصابت الاستكبار العالمي، الذي كان يظن أن كلّ شيء قد تم على ما يرام لصالحه في الشرق، فكان انتصار الثورة الإسلامية إحباطاً كبيراً لمخططاته وطموحاته.

ثم يصف رَحِمَهُ اللهُ المخططات الأمريكية في إحباط الثورة الإسلامية والتضييق عليها، وعزلها عن العالم الإسلامي عموماً، والعربي خصوصاً، وفرض الحرب العدوانية عليها من قبل النظام البعثي في العراق، وإثارة الفتن الطائفية في وجه إيران والثورة، وتشويه صورتها الإسلامية من خلال هذه الفتنة التي أثارتها يومذاك... ومن المفضل أن نصغي مباشرة إلى آهات هذا الداعية الشهيد، يحدثنا كيف استجاب لهذه اللعبة السياسية شباب مؤمنون من الحركة الإسلامية، استطاعت أمريكا أن تخيب كل آمالهم في الثورة الإسلامية في إيران، وتقنعهم بأن هذه الثورة ليست إسلامية، وإنما شيعية إيرانية، والشيعة لا يُعدّون من المسلمين في شيء، وهكذا تم لهم إحباط كل الآمال التي انتعشت في هذه الثورة... والتاريخ يتكرر مرة أخرى اليوم بعد ثلاثين سنة.

فلنستمع إلى الشهيد فتحي الشقاقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان التحدي الغربي يظن أنه يوجّه ضرباته النهائية القاتلة للحضارة الإسلامية المنهارة حين وجهت الثورة الإسلامية في إيران أول سهامها للغرب، وحققت أول انتصار للإسلام في العصر الحديث. لقد عادت الحياة إلى هذا الجسد الذي ظنوه قد أصبح جثة هامدة، وها هو يستفيق من جديد ينهض رائعاً وقوياً، ومن أين؟ من حيث كان تأثيرهم الشيطاني أشد وأقوى وأشرس ما يكون. لقد اكتشفنا ذاتنا وها نحن ننهض، بعد قرنين من المهانة والذل، وبعد قرون من التخلف والجهل.

ها هي الثورة الإسلامية تتقدم لترسي مفاهيم عدة منها:

1 ـ أسقطت من أذهان الجميع ـ خاصة مسلمي ومستضعفي العالم ـ ذلك الرعب من الدول والقوى الكبرى.

2 ـ قدمت نموذجاً ونمطاً حضارياً جديداً للبشرية، بعد أن وضعت النمط الغربي في قفص الاتهام.

يقول المفكر الفرنسي الشهير: روجيه غارودي: (لقد وضع الخميني نمط النمو في الغرب في قفص الاتهام) ثم يقول: (الخميني أعطى حياة الإيرانيين معنى).

3 ـ أكدت على الدور التاريخي الذي سيلعبه الإسلام الثوري في حياة شعوب المنطقة بعد أكثر من قرن من محاولة إزاحة الإسلام من السلطة والتأثير.

ولكن هل يترك الغرب وعملاؤه الثورة لتمضي في طريقها... دون أن تتصدى له وتكسر شوكته؟

هل يسكتون عن الفرحة التي سكنت الأمة كأنها الغيث الذي يصيب الأرض الجدباء، بعد طول انتظار؟ وهل يسمحون لهذا الشوق الإسلامي الذي فجرته الثورة أن يأخذ مداه؟

لقد هالتهم انتفاضة هذا الشعب المسلم وثورته المستحيلة، فحاولوا جاهدين أن يحولوا بين الإسلاميين الثوريين وبين وصولهم للسلطة، وعندما فشلوا تحركوا على عدة محاور مختلفة ومتشابكة:

1 ـ بدأوا في إثارة الأقليات المختلفة.

2 ـ دعم المجموعات الإيرانية المعارضة.

3 ـ الحصار الاقتصادي والسياسي.

4 ـ شن الغزو الخارجي عن طريق استخدام صدام حسين والجيش العراقي المغلوب على أمره.

5 ـ إثارة الفتنة بين جناحي الأمة المسلمة ـ السنة والشيعة ـ في محاولة أخيرة لمحاصرة المد الثوري ومنع تأثيره من الوصول إلى المناطق السنية سواء الغنيّة بالبترول أو تلك التي تواجه إسرائيل.

بدأ بعضهم يشن حملة مشبوهة ومفاجئة ضد الثورة الإسلامية التي اكتشفوا أخيراً أنها ثورة شيعية، وأن الشيعة فرقة ضالة أو كافرة، وأن آية الله الخميني الذي قالوا أنه هزّ العروش وهو يجلس فوق سجادته، أصبح أيضاً ضالاً كافراً (!) وبدأ يتكرر أمامنا مشهد الشاب المسلم (!) الذي يحمل كتاباً سعودياً مليئاً بالمغالطات والافتراءات، يحمله من مسجد إلى مسجد، يشرحه للناس، ويبشّر بما به من أضاليل، أدرك أن بعض هؤلاء الشباب يتحرك بحسن نية، متوهماً أنه يعمل لله، تماماً كما أدرك أن الطريق إلى جهنم مليء بمثل هذه النوايا الحسنة. فمتى يكتشف مثل هذا الشباب أنهم وبحسن نية ينفذّون مخططاً استعمارياً، وأنّ عليهم أن ينقذوا أنفسهم قبل فوات الأوان؟

إن موقف بعض الإسلاميين المعادي للثورة يفرض على الأمة أن

تقف منهم موقف الشك والريبة من منطلقاتهم، من دوافعهم ومن أغراضهم.

بل أن موقفهم الغريب هذا يضع الحركة الإسلامية أمام مأزق خطير، لم تتعرض له من قبل، لأن أعداء الثورة داخل صفوف الحركة الإسلامية، يفقدون مبرر وجودهم، وليس أمام الحركة الحقيقية إلاّ أن تلفظهم إن عاجلاً أو آجلاً.

إن الذين يريدون أن يقتلوا النموذج الإيراني الفذ، في داخل الشخصية المسلمة، وفي هذا الوطن المحتل بالذات لن يقتلوا إلاّ أنفسهم، فهم يقفون أمام حركة التاريخ المتقدمة، ويتصدون لثورة إسلامية يقودها إمام هو (فخر للإسلام والمسلمين) كما جاء في أحد بيانات التنظيم الدولي للإخوان المسلمين[1].

رحم الله الشهيد فتحي الشقاقي لقد أدرك من هموم هذه الأمّة وقضاياها ما لم يدركه الكثيرون.

إن لكل شيء ثمناً وضريبة، وضريبة هذه الانتصارات والفتوحات التي منّ الله تعالى بها على المسلمين في هذه الفترة هي هذه الفتن التي تتفجر هنا وهناك فيما بين المسلمين.

ولست أقول ذلك تبريراً لما يحصل بين المسلمين من الفتن اليوم، فلا مبرر إطلاقا لهذا الذي يحدث في العراق بين السنة والشيعة، ولا ما يحصل في باكستان وغيرها من بلاد المسلمين، من التراشق الطائفي بين السنة والشيعة.

وإنما أقول: إننا لم نفاجأ بهذه الفتنة، وكنّا نتوقعها، ولا زلنا نتوقع التصعيد فيها.

---

(1) الشقاقي، فتحي: السنة والشيعة ضجة مفتعلة. ص7 ـ 12.

وهذا الوعي لمخططات الاستكبار العالمي وأساليبه وأدواته يحفظ لنا موقع الفعل والعمل والتخطيط المقابل لمواجهة هذه الفتنة، ويحفظنا من المواقف الانفعالية تجاه حملات العدو، أو الاستسلام لها. وكل منهما خطأ... والصحيح هو العمل القائم على الوعي الموضوعي لظروف الفتنة والتخطيط لمواجهتها وتقوى الله وابتغاء وجهه تعالى...

ب ـ الانغلاق، والتكفير، والإرهاب:

هذا المسلسل الثلاثي من أخطر أسباب الفتن الطائفية في التاريخ الإسلامي.

(الانغلاق) على الرأي الآخر، و(التكفير والإرهاب) في التعامل مع الرأي الآخر.

ولست أقول كما يقول بعض الناس إنَّ في كل رأي حقاً وباطلاً، وليس كل ما في هذا الرأي حق، وليس كل ما في الرأي الآخر باطل... فإنَّ هذا الفهم للرأي وللرأي الآخر باطل بالضرورة. والحق لا يتعدد، فإذا كان الرأي هذا حقاً لا يكون الرأي الآخر حقاً بالضرورة.

ولكن ذلك ليس بمعنى العصمة في الرأي... وما أكثر ما يكتشف الإنسان الخطأ في رأيه، والصواب في الرأي الآخر. ولذلك ينبغي للإنسان أن يكون منفتحاً دائماً على الرأي الآخر، يستمع إليه، ويحاور أصحابه.

يقول تعالى في عباده الصالحين ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[1].

---

(1) سورة الزمر: الآيتان 17 ـ 18.

والاستماع هو (الانفتاح)، وإتبّاع الأحسن هو (الموضوعية) وابتغاء الحق فيما بين الآراء... والقرآن يجعل «الانفتاح» و«الموضوعية» في الاختيار هما المقياس الدقيق للهداية (الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ).

وبعكس ذلك الانغلاق على الرأي الآخر يجرّ الإنسان إلى ضلالات ومتاهات كثيرة.

ويتبع (الانغلاق)... (التكفير) و(الإرهاب).

(التكفير) في التعامل مع الرأي الآخر و(الإرهاب) في التعامل مع أصحاب الرأي الآخر.

ودين الله أوسع صدراً وأرحب في التعامل مع الرأي الآخر وأصحابه من التكفير والإرهاب، ويبقى الرأي الآخر في دائرة الإسلام إذا كان يقر صاحبه بشهادة أن لا اله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فلا يجوز إخراج هذا الرأي من دائرة الإسلام إلى الكفر، ولا يجوز استباحة دم صاحبه... فإنَّ شهادة أن لا اله إلا الله تعصم صاحبها في دمه وماله.



وظهرت هذه (الحدّية) في الرأي، و(الانغلاق) على الرأي الآخر، وما يستتبعه من التكفير والإرهاب. أوّل ما ظهر في حرب صفين... ثم تكتّل أصحاب هذا الرأي لقتال الإمام أمير المؤمنين (ع) في النهروان، فقاتلهم الإمام (ع) وهزمهم في تلك المعركة، وهدم تكتلهم السياسي والعسكري، وعندما قال له بعض أصحابه مستبشرا بأنّهم قد هلكوا بأجمعهم... قال الإمام (ع): «**كلاّ، والله إنّهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء**»[1]. أي أن الحالة الخارجية لا

---

(1) نهج البلاغة: (م، س)، ص53، الخطبة60.

تنتهي وما إن يهلك منهم قوم حتى ينجم منهم قرن آخر.

وكما لا ينتهي الحق، كذلك لا ينتهي الباطل.

وقد صدق الإمام (ع)... فإنَّ الحالة التكفيرية والتّطرف الديني الذي يبرز اليوم في الساحة الإسلامية ظهور جديد لنفس الحالة التي حاربها الإمام في النهروان: رفض مطلق للرأي الآخر، وانغلاق مطلق على الرأي، وتكفير لأهل القبلة، واستباحة لدمائهم.

وقد أصبحت اليوم هذه المسألة من كبرى قضايا العالم الإسلامي... فهم يمتلكون شبكة تنظيمية واسعة في العراق وباكستان والسعودية، ولهم امتداد في المغرب الأفريقي، مثل الجزائر، والمغرب، وامتدادات في جنوب شرق آسيا مثل اندونيزيا وماليزيا، ولهم حضور في بعض الدول الأوروبية.

وحيث أن هذه الحركة حركة سياسية وثقافية منظمة تحت الأرض... فهي تبقى بعيدة عن النور، والحوار والنقد.

وقد تسببت هذه الحركة بأضرار كبيرة وكثيرة في العالم الإسلامي اذكر منها:

1 ـ تعميق الفجوة الطائفية بين المذاهب الإسلامية، وإثارة الفتنة الطائفية وتأجيجها في بلاد وأقاليم كثيرة من العالم الإسلامي مثل العراق وأفغانستان وباكستان.

فإنَّ الطرح الاستفزازي والتكفيري للمسلمين ممن لا ينسجمون مع هذا الرأي واستباحة دمائهم، والتعامل معهم من موقع التكفير والإرهاب، يؤدي بالضرورة إلى إثارة الفتنة الطائفية وتعميق الفجوة بين المذاهب الإسلامية، وعزل المسلمين بعضهم عن بعض بجدار (الفصل الطائفي)... وهذه الفتنة لا تخص العلاقة بين الشيعة والسنّة فقط، وإنّما تمتدُّ إلى العلاقة بين أهل السنّة أيضاً، كما هو حاصل

الآن بالفعل، فإنَّ جملة من أعمال التفجير والتخريب التي يقوم بها الإرهاب في العراق في المناطق السنّية من بغداد وفي الرمادي وفلوجة وغيرها تمسُّ أهل السنّة بالذات.

والاستكبار العالمي يمدُّ هذه الحركة في إثارة هذه الفتن من حيث نشعر أو لا نشعر، ولنا أكثر من دليل على الدعم الأمريكي لهذه الفتن في العراق بالذات، ولا تجد أمريكا وإسرائيل وغيرهما من دول الاستكبار والكفر فرصة أفضل لتحقيق أهدافهم في العالم الإسلامي من هذه الفرصة، فهي تلهيهم بمشاكلهم الداخلية، وتصرفهم عن المشاريع السياسية والحركية والثقافية والجهادية الكبرى التي تقبل عليها الأمة الإسلامية، وتؤجج بينهم نار الفتنة، وتضعفهم، وتعمّق حالات الخلاف الموجودة فيما بينهم، بما يجعل من الممتنع اجتماعهم على مكافحة نفوذ الاستكبار العالمي في العالم الإسلامي، واجتماعهم على تحقيق الأمة الواحدة، وتحقيق الأهداف الكبرى التي تسعى إليها هذه الأمة.

ومراجعة واحدة لقائمة الكتب والرسائل الجامعية التي صدرت خلال هذه المدّة منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران، ودخول الشيعة في العراق في المعادلة السياسية، يكفي لإثبات هذه الحقائق جميعاً... وتكفي قراءة بضعة صفحات من هذه الكتب ليعرف الإنسان مواضع بصمات دول الاستكبار العالمي والمنظمات والمؤسسات الجاسوسية والاستخباراتية العالمية في أمريكا وإنكلترا وإسرائيل في إثارة هذه الفتنة، والله المستعان.

2 ـ تمكين دول الاستكبار العالمي من العالم الإسلامي.

أنا لست أدري مدى نفوذ المنظمات الاستخباراتية والجاسوسية العالمية في هذه الحركة الإرهابية التكفيرية المعاصرة، ومدى اختراقها لهذه الحركة، وتأثيرها في توجيهها، ولكنّي أعلم أنَّ هذه

الحركة منذ أحداث سبتمبر سنة 2001 سهّلت لأمريكا غزو أفغانستان والعراق واحتلالهما، ودخول الأساطيل الأمريكية في المنطقة، وتوسعة حوزة الأنظمة (المعتدلة!!) في منطقة الشرق الأوسط وفي أفريقيا كما تقول وزيرة الخارجية الأمريكية... وأنّها مكّنَت بالفعل أمريكا من فرض نفوذها على مساحة واسعة من العالم الإسلامي.

ولم يكن من الممكن أن تتمدّد أمريكا هذا التمدّد الواسع لولا ذريعة مكافحة الإرهاب.

3 - كان لهذه الحركة دور واسع في تشويه صورة (الإسلام) و(الحركة الإسلامية المعاصرة) في العالم. فقد اقترنت صورة الإسلام والحركة الإسلامية المعاصرة في العالم من خلال الفضائيات بالتفجيرات والتفخيخات والدماء والأجساد المضرّجة بالدماء، والتهديد والحرائق والتخريب... والفضائيات الموالية للغرب تعرف كيف تعرض هذه الصور وكيف تستخدمها لتشويه صورة الإسلام والحركة الإسلامية.

إن التقارير التي تعدّها مؤسسات غربية إحصائية تدلّ على أن الغرب مقبل على الإسلام، والسنوات القادمة تشهد انتشاراً واسعاً كمّياً وكيفيّاً للإسلام في الغرب... وهذه قضية حقيقية لا يمكن التشكيك فيها، حتى من قبل أكثر المنظمات الغربية تطرفاً في مناوئة الإسلام.

ولسنا نشكّ أنه قد كان لموجة الإرهاب والعنف وحوادث التخريب والتفخيخ والقتل والذبح تأثير سلبي على هذه الحركة، ولسنا نشك أن المنظمات المعادية للإسلام تشارك بصورة فعّالة لنشر هذه الصورة الإرهابية عن الإسلام في الغرب.

نحن نعتقد أن الإسلام دين قوة، ودين رحمة، ونعارض الذين

يقولون أن الإسلام دين رحمة فقط، ولا يستخدم القوة، وأن بإمكان الإسلام أن يقضي على بؤر الفساد والشر والاستكبار في العالم من خلال الموعظة والنصيحة والتثقيف فقط، ونعتقد أنَّ (القوة) أبرز سمات الإسلام إلى جانب (الرحمة) وأنَّ من الرحمة القوّة... ولكن القوة شيء، وحوادث العنف والإرهاب والقتل والتفجير العشوائي شيء آخر... ولا نشك أن الحركة التكفيرية قدّمت خلال السنوات الأخيرة، صورة مشوّهة شديدة التشويه عن الإسلام، وأضرّت بتقدّم هذا الدّين وساعدتها في ذلك المنظمات العالمية المعادية للإسلام والفضائيات التي تعمل في خدمة هذه المنظمات، بشكل أو بآخر.

علاج الفتنة

إن مكافحة الفتن الطائفية والسعي إلى التقريب والتفاهم والتضامن والتعاون بين المسلمين من ثوابتنا السياسية والحضارية والاقتصادية.

وتدخل في تكوين الأمة الإسلامية الواحدة. ومن دونه لا تتحقّق الأمة الواحدة التي جعلها الله أمة وسطاً، وشاهدة على سائر الأمم.

ويتوقف عليها انتصارنا في المعترك السياسي والحضاري والثقافي والعسكري، ومن دونها لا يتحقق النصر الذي نسعى إليه في مسيرتنا السياسية والثقافية.

وتتوقف عليها حركتنا الثقافية والعلمية.. فان التقاطع الطائفي والعزلة والانكفاء على الذات يؤدي بالضرورة إلى الضمور الثقافي والعلمي، وبعكس ذلك التواصل واللقاء والحوار الإيجابي يؤدي إلى التكامل العلمي والثقافي في حوزاتنا وجامعاتنا العلمية.

وهذه النقاط الثلاثة تتوقّف على التفاهم واللقاء والحوار والتواصل بين المسلمين ومكافحة الفتن الطائفية.

إنّ هناك ثلاث قضايا رئيسية، لا بد فيها من الوعي والوضوح:

ولا بد من السعي لنشر وعي سياسي ـ ثقافي، تجاه هذه النقاط في أوساط الجمهور.

وهذه النقاط هي:

1 ـ وعي الأمة الواحدة.

2 ـ الصراع الحضاري الذي تخوضه هذه الأمة.

3 ـ وعي ضرورة الترافد الثقافي والعلمي في حياة هذه الأمة.

واليك إيضاحاً سريعاً لهذه النقاط الثلاثة:

1 ـ الأمة الواحدة

هذه الأمة أمة واحدة، وليست أمماً شتى.

وقد ورد هذا المعنى بصراحة في آيتين من القرآن يقول تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[1].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[2].

وليس معنى وحدة الأمة التطابق الكامل في الرأي والاجتهاد، فان ذلك مما لا يكون.. وإنما معنى ذلك الاتفاق والتفاهم على الأصول والانسجام والتفاهم والتعاون على المواقف السياسية، وتوحيد الولاء والبراءة والطاعة والنصرة.

2 ـ الصراع الحضاري

سواءًا أردنا أم لم نرد نحن ندخل اليوم في صراع حضاري عسير... والمواجهة العسكرية شكل من أشكال التعبير عن هذا الصراع.

---

(1) سورة الأنبياء: الآية 92.

(2) سورة المؤمنون: الآية 52.

وهذا الصراع صراع شرس.. وخصومنا في هذا الصرع جبهة واحدة، مهما تعددت توجهاتهم.

وليس من الصدفة أن تتفق أمريكا والاتحاد الأوربي على دعم إسرائيل في كل أعمالها العدوانية تجاه المسلمين، وأن تقف إلى جانبها من غير أن تأخذ بنظر الاعتبار حاجتها إلى المسلمين وعلاقاتها الاقتصادية الواسعة بالعالم الإسلامي.

نحن نواجه اليوم صراعاً حضارياً، سياسياً، اقتصادياً، عسكرياً، من أشرس ما يكون الصراع، وإذا خسرنا الحرب في هذه المعركة المصيرية، فسوف نعود مرة أخرى إلى دورة جديدة من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية للغرب، التي طالتنا من بعد سقوط الدولة العثمانية إلى اليوم.

والانتصار والهزيمة في هذا الصراع - في كل أبعاده - قضية مصيرية في حضارتنا وتاريخنا. ولا نشك إننا نكسب هذا الصراع إذا واجهنا خصمنا أمة واحدة، وصفاً واحداً، وموقفاً واحداً، وذلك أن يد الله تعالى مع الجماعة وعلى الجماعة، وإذا كانت يد الله معنا فلا يتخطانا النصر بإذن الله.

ولا نشك أنّا إذا واجهنا خصومنا منقسمين على أنفسنا، متقاطعين في مواقفنا وإرادتنا، متخالفين في توجهاتنا، فلا نكسب هذا المعترك الحضاري الصعب.

3 - الترافد الثقافي

الترافد الثقافي من نتائج التقريب بين المذاهب الإسلامية ومن عوامله في نفس الوقت...

وقد كان علماء المسلمين وطلبة العلم يتوافدون على مدارس فقهية من مذاهب واتجاهات مختلفة، وكانوا يتبادلون الإجازات في

رواية الحديث. فكان طلبة العلم من العراق، ومعظمهم من الشيعة يفدون إلى الحجاز ومصر والشام ومعظمهم من أهل السُنة، وكان يفد إلى العراق، على مدرسة الحلة، وهي حوزة شيعية عريقة طلبة من الحجاز ومصر والشام والمغرب العربي للدراسة، كما كان لعلماء المسلمين زيارات للأقاليم الإسلامية وكان طلبة العلوم الدينية يلتمسون منهم أن يلقوا عليهم دروساً في الفقه والأصولَين (أصول الفقه واصول العقائد).

واليوم تحتضن الحوزة العلمية في قم، وهي حوزة علمية عريقة تابعة لمدرسة أهل البيت طلبة العلوم الدينية من أكثر من مائة قطر في العالم من القارات الخمسة، وجملة من هؤلاء الطلبة الوافدين إلى هذه الجامعة من أهل السنة، ولا يجدون حرجاً في الدراسة في حوزة شيعية، كما لا تجد هذه الحوزة حرجاً أن تحتضن طلبة من المدارس والاتجاهات الفقهية الأخرى، وتجري دراسة فقه المذاهب الإسلامية الأربعة في هذه الحوزة كما تجري دراسة الفقه الإمامي.

ولهذا الترافد الثقافي والعلمي أثر بالغ في التكامل العلمي والثقافي في المراكز العلمية الإسلامية.

فإن الجهود العلمية والثقافية المختلفة عندما تلتقي مع بعض على صعيد موضوعي علمي، غير متشنّج يكون هذا اللقاء سبباً للإثراء والتكامل العلمي والثقافي لكل من هذه الروافد العلمية والثقافية. ويؤدي هذا الترافد إلى التقارب والتعارف بين المذاهب المختلفة، كما أن التقارب والتعارف بين هذه المذاهب يؤدي بالضرورة إلى الترافد العلمي والثقافي.

إن ظاهرة الترافد تؤدي إلى مكافحة وإبطال الفتن الطائفية.. والعكس أيضاً صحيح، فإن الفتن الطائفية تقلل من فرص الترافد

الثقافي، وتحوّل الثقافة والعلم إلى دوائر مغلقة غير مترابطة، وهذه الحالة من أسباب ضمور العلم والمعرفة دائماً.

وعلى كل حال ظاهرة الترافد الثقافي ظاهرة مباركة في حياة هذه الأمة يجب أن نستعيدها ونجدّدها ونشجعها وندعمها، وهي من أفضل وسائل علاج الفتنة.

وفيما يلي سوف نتحدث إن شاء الله عن أبرز النقاط التي تساهم في علاج الفتنة الطائفية وإخمادها. وهذه النقاط الثلاثة هي:

1 ـ الوعي والخطاب

2 ـ اللقاء والحوار

3 ـ العمل المشترك

وإليك تفصيل هذه النقاط:

أولاً: الوعي والخطاب

الفتنة الطائفية، كأية فتنة أخرى، تنشأ وتنمو في غياهب الجهل والجهالة.. والفتن في حياة الناس كثيرة، وكلها تتكون وتظهر وتنمو في ظلمات الجهل.

وأفضل العلاج لها ولأمثالها من الفتن هو المعرفة والوعي، فإنّ النور يكسح الظلمة، والمعرفة والوعي نور يزيل ما يعترضه من ظلمات وفتن متراكمة بعضها فوق بعض.

الوعي والتقوى

إن تحصين المجتمع من الفتن يتم بعاملين اثنين، وهما عامل التقوى والمعرفة، فإذا اجتمعتا فإنهما يحصّنان المجتمع من أمثال هذه الفتن.

وكلما واجهنا فتنة من هذه الفتن التي تمحق دين الناس، وتثير الشغب والفوضى، وتحرق الأخضر واليابس فلا بد أن يكون من وراء هذه الفتنة عجز في (التقوى) أو (الوعي) أو فيهما معاً.

فهما يحصّنان المجتمع من كل فتنة، ويمنحان صاحبهما بصيرة وفرقاناً، إذا ادلهمت الخطوب والظلمات على الناس.

الوعي السياسي

ومن أهم وجوه الوعي اليوم الوعي السياسي، لأن الاستكبار العالمي والمخابرات والمنظمات الجاسوسية العالمية تكمن خلف هذه الفتن.

والمؤسسات الإعلامية (الصحف والفضائيات ودور النشر) تبثّ هذه الفتن بين الناس، وتقوم بتأجيج حرائق الفتنة الطائفية بين المسلمين.

وتجد أنظمة الاستكبار العالمي في هذه الفتن الطائفية فرصة ذهبية لبسط نفوذها في العالم الإسلامي، وتمكّنها من أسواق المسلمين ومصادر الثروة النفطية والمعدنية والمائية والزراعية في العالم الإسلامي... وسوف نبسط الحديث في هذا الجانب إن شاء الله.

والأداة المفضّلة لمواجهة هذه الفتن هي الوعي السياسي، الذي يمكّن الناس من معرفة خلفيات هذه الفتن وجذورها، والمنظمات الجاسوسية التي تخطط لها هناك في الغرب عبر المحيطات.

ومن واجب العلماء والخطباء والمثقفين الإسلاميين نشر الوعي السياسي بين الناس، وتمكين الناس من اختراق الغطاء الإعلامي، وتمكينهم من الدرك الصحيح لما يحصل في الساحة العالمية من فنون اللعبة السياسية، وتحذير الناس من أن يكونوا ضحايا هذه اللعبة والخطط التي تنتجها باستمرار العقلية الغربية تجاه العالم الإسلامي.

وعي الجمهور

ولست أعني بـ (الوعي السياسي) هنا وعي النخبة، ولست أنفي ضرورة الوعي السياسي عند النخبة وأهميتها، ولكن وعي النخبة لا يغني

عن وعي الجمهور، وإذا حلّ الوعي في الشارع الذي يتحرك فيه الجمهور، وتسلّح الجمهور بالوعي، لم تعد هذه اللعبة السياسية والفضائيات المضللة قادرة على تضليل الناس، وتفجير الفتن في وسط الناس، كالذي يحصل اليوم في العراق وفي بعض الأقطار الإسلامية.

فإنّ الوعي عندما ينزل إلى مستوى الشارع، ويثقف الجمهور يحصّنه من أمثال هذه الفتن... والجمهور الذي يمتلك درجة عالية من الوعي السياسي يمتلك درجة عالية من الحصانة تجاه العوامل الإعلامية والسياسية المضللة، ولا تحتوشه الفتن.

والجمهور غير الموجّه، وغير الراشد، هو الوسط الخصب، والتربة الصالحة لأمثال هذه الفتن. وعن طريق التوعية والتثقيف السياسي يمكننا أن نحافظ على سلامة الجمهور ورشده.

والجمهور كما هو تربة صالحة للفتن والضوضاء، كذلك هو وعاء صالح للوعي والعقل والسداد والتقوى.. ويمتلك أعماقاً سليمة من الفطرة لم ينفذ إليها الفساد، والقادة الحقيقيون هم الذين يدركون هذا العمق الفطري السليم للجمهور، ويقودون الجمهور إلى صراط الله المستقيم والتقوى، ويحذرونه من مغبّة الوقوع في أمثال هذه الفتن، ويفلحون في ذلك.

إن الثقة بالجمهور، وكفاءاته الكثيرة، وسلامة فطرته، هو رأس مال أولئك القادة الذين يعرفون كيف يخاطبون الجمهور، وكيف يكسبونه.. بعد الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه والاطمئنان إلى وعده بالنصر، وتأييده للقلّة المؤمنة في مواجهة أمثال هذه الفتن والتحديات.

الوعي والخطاب

ولا بد للوعي من خطاب، كما أن للتضليل السياسي خطاب، ولإثارة الفتنة بين الناس خطاب، ولتغرير الناس وتجهيلهم خطاب، كذلك للوعي خطاب.

ولغة هذا الخطاب لغة العقل، وهي اللغة المفضّلة في خطاب الوعي... إن العاطفة جزء ضروري من خطاب الجمهور لا شك في ذلك، ولكن من الخطأ الاقتصار على العاطفة في خطاب الجمهور.. ولا بد من استخدام لغة العقل في خطاب الناس، إلى جانب لغة العاطفة، ولا بد أن تكون لغة العقل هي الحاكمة وهي الأصل، ولغة العاطفة تأتي في امتداد لغة العقل، ولإسناد العقل عندئذ يكون الخطاب العاطفي خطاباً صالحاً للجمهور... وأمّا عندما يتمحّض خطاب الجمهور في الخطاب العاطفي، فلا يكون مثل هذا الخطاب خطاباً راشداً أميناً غالباً، ولا يكون قادراً على توجيه الجمهور إلى الوجهة الصحيحة...

إن مشكلة الخطاب الإسلامي المعاصر لدى أصحاب التوجهات الطائفية المعاصرة، هي الحالة العاطفية الطاغية على هذا الخطاب والحالة الشعارية، ورفض لغة العقل، وحالة الانغلاق على الرأي الآخر، ورفض الطرف الآخر رفضاً مطلقاً إلى حدود التكفير واستباحة الدماء التي حرّمها الله تعالى إلا بحقها، وقد يكون استجابة الجمهور أحياناً إلى الخطاب الشعاري والعاطفي أسرع من استجابتهم للخطاب العقلاني الرافض للعاطفة.. ولكن يبقى استخدام لغة العاطفة والشعار محضاً وحصراً في خطاب الجمهور ـ خيانة للجمهور مهما كانت استجابتهم لهذا الخطاب، واستخدام لغة العقل ومحكمات الدين في خطاب الجمهور هو الموقف الناصح الأمين من الجمهور، وإن واجهه الجمهور أحياناً بالرفض.

وعلى علماء المسلمين أن يتقوا الله في الخطاب، ولا يبتغوا مرضاة الناس في ذلك، فقد يكون في الناس من يستجيب للشعار والعاطفة، وقد يكون الخطاب العاطفي والشعاري أسرع قبولاً في وسط الجمهور.. ولكنه على كل حال خيانة يجب أن يحذرها العلماء الراشدون.

والجمهور الذي يتثقف من خلال الخطاب العقلائي أكثر ثباتاً وصلابة في الموقف، والجمهور الذي يتلقى الخطاب العاطفي الشعاري جمهور متقلب في الرأي، لا يثبت على موقف، ومسؤولية هذه الحالة المتقلّبة على عهدة الخطاب العاطفي والشعاري الذي يتلقاه هذا الجمهور من حملة الخطاب الطائفي المتشنّج.

مصدر الخطاب

وكما يجب الاهتمام بلغة الخطاب في حياتنا الثقافية والسياسية المعاصرة، كذلك يجب الاهتمام بمصدر الخطاب... هناك خطابات سياسية وثقافية كثيرة معاصرة صادرة من (الولاءات) المنتحلة الوهمية، كالولاء للقوم والوطن والعشيرة، وهي ولاءات منتحلة كاذبة في مقابل الولاء لله ولرسوله ولأمة المسلمين وللمؤمنين، وهو الولاء الراشد الصحيح الذي جاء به الوحي من عند الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1]... وهذا هو الولاء الحق الذي جاء به رسول الله (ص) من عند الله، وهو الولاء الذي يوحّد صف المسلمين، ويجعل منهم أمة واحدة في صف مرصوص، مقابل أعداء هذه الأمة.

وللقضاء على هذا الولاء بادر أعداء هذا الدين إلى طرح

(1) سورة المائدة: الآية 55.

ولاءات أخرى في مقابل الولاء لله ولرسوله ولأولياء الأمور وللمؤمنين، كالولاء للقوم والوطن والعشيرة، وبذلوا أموالاً طائلة لتثبيت هذه الولاءات في ثقافة المسلمين المعاصرة، من خلال المدرسة، والصحافة، والإذاعة، والتلفاز، وإحياء المآثر الفرعونية والبابلية والكسروية والفينيقية.. إلى غير ذلك.

من خلال هذه الثقافات عملوا على زرع ولاءات وهمية، قومية ووطنيه.. مقابل الولاء لله ولرسوله.

ونحن عندما نتحدث عن الخطاب السياسي الذي يجب أن نلقيه إلى جمهورنا يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار مصدر هذا الخطاب... هذا الخطاب يجب أن يكون صادراً عن الولاء لله ولرسوله في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿٥٥﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[5].

---

(1) سورة المائدة: الآية 55.

(2) سورة الأنبياء: الآية 92.

(3) سورة المؤمنون: الآية 52.

(4) سورة آل عمران: الآية 103.

(5) سورة التوبة: الآية 71.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[4].

أمّة واحدة، وطاعة واحدة، وولاء واحد.

إن لكل ولاء خطاب، وخطاب كل ولاء يختلف عن الخطاب الآخر، ونحن ولاؤنا لله ولرسوله ولأولياء الأمر وللمؤمنين وليس للوطن والقوم والعشيرة.. ولهذا الولاء خطاب يختلف عن خطاب الولاء للقوم والوطن.

ونحن لا نرفض الارتباط بالقوم والوطن إلا أن هذا الارتباط من الانتماء وليس من الولاة، والولاء يحكم الانتماء.. فقد حارب المسلمون صدر الإسلام أهلهم وآباءهم وإخوانهم من مكة في الله.

وخطابنا إلى جمهور أمتنا ـ في السراء والضراء ـ يجب أن ينطلق من هذا المصدر، وهو الخطاب الذي يجمع الشمل، ويزرع المحبة والمودة في القلوب، ويؤسس التفاهم والتعاون في الأفكار والأعمال.

الصدق والنصح في الخطاب

ويجب أن يكون الخطاب صادقاً ناصحاً.. وفي خطابنا المذهبي الطائفي المعاصر الكثير من الكذب والافتراء.. ومن يقرأ بعض

---

(1) سورة الحجرات: الآية 10.

(2) سورة الأنفال: الآية 46.

(3) سورة النساء: الآية 59.

(4) سورة الأنفال: الآية 72.

أدبيات الفتنة الطائفية المعاصرة يجد نماذج كثيرة من هذا الافتراء والكذب، ومن أمثلة هذا الافتراء: الافتراء على الشيعة الإمامية بأنهم يقولون بتحريف القرآن، وهم ينفون عن أنفسهم هذه التهمة، ويصرحون ويكتبون عن صيانة القرآن عن التحريف.

ولو أنك سبرت بلاد المسلمين في كل العالم لا تجد غير هذا القرآن قرآناً يتلوه الناس ويتعبدون به في مشارق الأرض ومغاربها.

وكم يتبادل المسلمون من المذاهب المختلفة الافتراءات فيما بينهم من غير هدى ولا بيّنة.

ولا تختصّ هذه الافتراءات بين الشيعة والسنة، وإنما يتم بين الشيعة أنفسهم، والسنة أنفسهم بما لا يقلّ عما يجري بين الشيعة والسنة...

وهذا الخطاب الطائفي ينقصه الصدق والنصح..

ينقصه الصدق لأن علماء المسلمين من جميع المذاهب يكتبون ويعلنون ويصرحون أن ليس لله على وجه الأرض كله قرآن غير هذا القرآن، الذي يتلوه المسلمون صباحاً ومساءً.

وينقصه النصح لأن المسلم الذي يهمه أمر وحدة المسلمين وانسجامهم، والذي يأمر الله تعالى به ورسوله لا ينال مذاهب المسلمين بهذا اللون القاسي من الجرح والتشهير والتسقيط، من دون تثبت علمي، بل مع إعلانهم البراءة عما ينسب إليهم من الافتراء.

الشجاعة والصراحة في الخطاب

إن مواجهة ظروف الفتنة الطائفية اليوم تستدعي شجاعة وصراحة في الخطاب، وما لم يمتلك حَمَلَةُ الخطاب الإسلامي هذه الشجاعة والصراحة لا يتمكنون من مواجهة الفتنة الطائفية المعاصرة واستئصالها.

إن الحالة التكفيرية المعاصرة واستباحة دماء المسلمين بغير الحق عودة للحالة الخارجية التي ظهرت صدر الإسلام في حرب صفين والنهروان في أيام خلافة أمير المؤمنين (ع)، وولادة جديدة لنفس الحالة.

وهذه الحالة آخذة بالتوسع والنفوذ إلى داخل الحركة الإسلامية المعاصرة.. ولا بد أن يمتلك تجاه هذه الحالة علماء المسلمين الجرأة والشجاعة والصراحة الكافية في بيان موقف الإسلام من هذه الجماعة، ومن هذه الحالة التي تُعدّ انزلاقاً خطيراً للحركة الإسلامية المعاصرة.

والتردد والتريث في مثل هذا البيان يؤدّي إلى استشراء هذه الحالة وتوسعها، والى حدوث انزلاقات خطيرة في الحركة الإسلامية المعاصرة بهذا الاتجاه.

وقد حرّم الإسلام دم المسلم وماله إذا كان يشهد بالتوحيد لله والنبوة لرسول الله قولاً واحداً بين فقهاء المسلمين.

روى مسلم في الصحيح في فضائل علي (ع): عندما دعا رسول الله (ص) علياً في فتح خيبر فأعطاه الراية وقال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ:

يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟

قال: **قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم**[1].

وفي الصحيحين بالإسناد إلى مقداد بن عمرو: أنه قال: يا

---

(1) صحيح مسلم (م، س)، ج4، ص1871 ـ 1872.

رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، فاقتله يا رسول الله بعد أن قالها، فقال رسول الله (ص): «**لا تقتله، فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**»[1].

وأخرج البخاري في بعث علي (ع) وخالد إلى اليمن: أن رجلاً قام فقال يا رسول الله: اتق الله، فقال (ص): «**ويلك ألست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**، فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال (ص): **لا، لعله أن يكون يصلي**»[2].

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «قال رسول الله (ص): **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد حرم عليّ دماءهم وأموالهم**»[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص):

«**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[4].

وعن أبي عبدالله الصادق (ع) أنه قال: «**الإسلام يُحقن به الدم**»[5].

---

(1) صحيح البخاري (م، س) ج4، ص وصحيح مسلم (م، س)، ج1، ص95.

(2) صحيح البخاري (م، ن) (ص، ن) ومسند احمد (م، س) ج4، ص 10 ـ 11.

(3) بحار الأنوار، (م، س)، ج68، ص242.

(4) صحيح البخاري، (م، س)، ج1، ص. 102 وصحح مسلم (م، س)، ج1، ص38.

(5) المحاسن، (م، س)، ص285، وبحار الأنوار (م، س) ج68، ص243.

وعنه (ع) أنه قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله (ص) به حُقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث**»[1].

وعن رسول الله (ص) أنه قال: «**من وحّد الله وكفّ بما يعبد من دونه حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله**»[2].

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) أيضاً عن رسول الله (ص) أنه قال: «**أيها الناس إنّي أمرت أن أقاتلكم حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، فإذا فعلتم ذلك حقنتم بها أموالكم ودماءكم إلا بحقّها وكان حسابكم على الله**»[3].

وروي الدارمي عن رسول الله (ص) أنه قال: «**إنّي أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت عليّ دماؤهم وأموالهم إلا بحقّها، وحسابهم على الله**»[4].

عن أبي سعيد الخدري قال: وجد قتيل على عهد رسول الله (ص) فخرج مغضباً حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**يقتل رجل من المسلمين لا يُدرى من قتله، والذي نفسي بيده لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله في النار**»[5].

---

(1) الكافي، (م، س) ج2، ص25وبحار الأنوار (م، س) ج68، ص248.

(2) مسند أحمد بن حنبل (م، س) ج3، ص472.

(3) المحاسن، (م، س)، ص284، بحار الأنوار (م، س)، ج68، ص282.

(4) الدارمي، (م، س)، ج2، ص218، ورواه بلفظ قريب منه عن رسول ﷺ البخاري، (م، س) ج1، ص. 57 وسنن أبو داود (م، س) ج2، ص41 ـ 42، ومسند أحمد بن حنبل (م، س) ج3، ص199 و ج2، ص445 و ج3 ص339، و ج4، ص8 ـ 9 . وسنن ابن ماجه (م، س)، ص 1285 ـ 1286، وسنن النسائي، (م، س) ج8، ص109.

(5) بحار الأنوار (م، س)، ج75، ص150.

وروى مسلم بن الحجاج في (الصحيح) روايتين عن رسول الله (ص) نعرف منهما عظيم حرمة «لا إله إلا الله» وحرمة القائل بها، ولو كان القائل بها قد تظاهر بها ليحمي نفسه من القتل، وأنّ هذه الكلمة تعطي قائلها وحاملها من الحرمة ما لا يجوز لأحد انتهاكها إلا بحقه.

روى مسلم أن رسول الله (ص) بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وأنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدّث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي (ص)، فسأله فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله قال: **لِمَ قتلته؟** قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً، وإنّي حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله (ص): أقتلته؟ قال: نعم، قال: **فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**، قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: **وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**، قال: فجعل لا يزيد على أن يقول: **كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**[1].

وروى مسلم أيضاً عن أسامة بن زيد أنه قال:

«بعثنا رسول الله (ص) في سرية فصبحنا الحرقات[2] من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من

---

(1) صحيح مسلم (م، س) ج1، 68 ـ 69.

(2) الحرقات بضم المهملة والراء وقاف بعدها من جهينة، هم بنو حميس بن عمرو بن ثعلبة بن مودوعة بن جهينة، كما في جمهرة ابن حزم ص446.

ذلك فذكرته للنبي (ص) فقال رسول الله (ص): **أقال لا إله إلا الله وقتلته!** قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: **أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**، فمازال يكررها عليَّ حتى تمنّيت أني أسلمت يومئذ»[1].

ورغم أن القتيل كان مقاتلاً يقاتل المسلمين في صفوف الكافرين حتى اللحظة الأخيرة، ونطق بكلمة التوحيد في اللحظة الأخيرة عندما وجد السيف على رأسه، وواضح من كل القرائن أن الرجل شهد بـ لا إله إلا الله خوفاً من القتل وليس عن إيمان، كما قال أسامة بن زيد.. إلا أن رسول الله (ص) غضب غضباً ظاهراً، وأنكر على أسامة بشدة وقوة، وكرّر إنكاره على أسامة حتى تمنى أسامة أن يكون قد أسلم في ذلك اليوم حتى يكون الإسلام قد جب من ذنوبه ما سبق.

خطبة رسول الله (ص) بمنى

وهذه الخطبة ألقاها رسول الله (ص) في جموع المسلمين الغفيرة بيوم النحر بمنى، وقد روى هذه الخطبة ثقاة المحدثين بألفاظ متقاربة، ونحن ننقل الخطبة برواية الإمام أبي عبدالله الصادق (ع):

عن زيد الشحّام عن أبي عبدالله الصادق (ع) أنه قال:

«إن رسول الله (ص) وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقوال لكم واعقلوه عني فإني لا أدرى لعليّ لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا، ثم قال: أيُّ يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا هذا الشهر، قال: فأيّ بلد اعظم حرمة؟ قالوا هذا البلد، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا

---

(1) صحيح مسلم (م، س)، ج1، ص67.

في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللّهم اشهد، ألا من كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، فانه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه، ولا تظلموا أنفسكم، ولا ترجعوا بعدي كفّاراً»[1].

(1) روى هذه الخطبة جمع غفير من الحفاظ والمحدّثين من الفريقين ولشهرتها نعرض عن ذكر مصادر الخطبة.

ثانياً: الجماعة، واللقاء، والحوار

هذه ثلاثة عناوين يحبها الله تعالى، وهي أساس التقريب والتفاهم وجمع الشمل وهي:

(الجماعة) و(الاجتماع واللقاء) و(الحوار والتفاهم).

وهذه الثلاثة هي الأداة المفضلة في دين الله لمكافحة الفتن الطائفية، وإزالة التقاطعات، والوصول إلى الانسجام والتفاهم والتعاون.

وسوف نشرح هذه الثلاثة، ونقف وقفات قصيرة عند كل واحد منها:

الجماعة (الأمّة)

نقصد بالجماعة: الأمّة الإسلامية الواحدة، وتتميز هذه الأمّة من سائر الأمم في العقيدة والشريعة والرسالة، ورسالتها التعاون والتضامن الاجتماعي علىٰ أداء هذه الرسالة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[1].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾[2].

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[3].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾[4].

هؤلاء، جماعة هذه الأمة، يحملون هماً واحداً، ومسؤولية واحدة، هي الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم أُسرة واحدة، متعاونة ومتفاهمة ومتعاطفة (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)، وهم يؤمنون جميعاً بالله ورسوله، ويطيعون الله ورسوله، فإن الدعوة إلى الله ورسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا مع الإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله.

إذن هذه الجماعة تحمل ثلاث خصال:

1 ـ الإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله ورسوله.

2 ـ الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة..

3 ـ التفاهم والتعاون والتعاضد والتواصي بالحق والصبر فيما بينهم.

---

(1) سورة يوسف: الآية 108.

(2) سورة آل عمران: الآية 104.

(3) سورة آل عمران: الآية 110.

(4) سورة التوبة: الآية 71.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1].

وعليه فإن مفهوم (الجماعة) بهذا التوضيح يلتقي بمفهوم (الأمة).

وهذه الأمة أمة واحدة، وليست أمماً شتى، لا ريب في ذلك.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾[2].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾[3].

وهذه الأمة بعرضها العريض أمّة واحدة، لها عقيدة واحدة وشريعة واحدة ومنهاجاً واحداً، ودعوة واحدة، وسبيل واحد، ورسالة واحدة، يؤدّونها مجتمعين.

وهذه الوحدة والاجتماع في الأداء، وتحمّل المسؤولية، والعقيدة والشريعة والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تجعل من هذه الأمة جماعة واحدة.

وقد ورد التأكيد على هذا الاجتماع والوحدة في الأداء والوحدة في الموقف والعمل في آيات عديدة من القرآن.

منها قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ فإن الآية الكريمة تحمل معنيين:

الإعتصام بحبل الله، وهذا هو المعنى الأول، وأن يكون هذا الاعتصام من قبل الجميع (جميعاً) وهذا هو المعنى الثاني.

---

(1) سورة العصر: الآية 3.

(2) سورة الأنبياء: الآية 92.

(3) سورة المؤمنون : الآية 52.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[1].

والآية الكريمة كذلك تحمل معنيين:

1 ـ الدخول في السلم.

2 ـ وأن يكون هذا الدخول من قبل الجميع، (كافة).

وقد ورد التأكيد في أحاديث كثيرة متضافرة على لزوم الجماعة، منها ما رواه الفريقان عن رسول الله (ص) في الخطبة التي خطبها في مسجد (الخيف) بمنى عام حجة الوداع، وإليك هذا الخطاب النبوي الشريف:

«نضرّ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم تبلغه، فربَّ حامل فقه ليس بفقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواه، يسعى بذمتهم أدناهم»[2].

وهذا الخطاب الشريف يتضمن ثلاث دعوات، وأية دعوات؟

1 ـ الإخلاص في العلاقة بالله.

2 ـ والنصيحة في العلاقة بأئمة المسلمين وأولياء الأمر (ع).

3 ـ واللزوم لجماعة المسلمين في العلاقة بالأُمة.

وسلامة الفرد والمجتمع بسلامة هذه العلاقات الثلاثة:

---

(1) سورة البقرة: الآية 208.

(2) بحار الأنوار (م، س)، ج27، ص69.

1 ـ العلاقة بالله.

2 ـ والعلاقة بأئمة المسلمين.

3 ـ والعلاقة بجماعة المسلمين.

فإذا سلمت علاقة الفرد بهذه المحاور الثلاثة يسلم الفرد وتسلم الأمة.

اللقاء والاجتماع

ورد في النصوص الإسلامية التأكيد على اللقاء والاجتماع والنهي عن الاختلاف والتفريق والتقاطع داخل الجماعة المسلمة، والنهي عن الخروج عن جماعة هذه الأمة والشذوذ عنها.

عن رسول الله (ص): **«عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة»**[1].

وعنه (ص): **«اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة. فعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ولم يجمع الله أمتي إلا على هدى، واعلموا أن كل شاطن: (البعيد من الحق) هوى في النار**[2].

وعنه أيضا (ص): **«لا يجمع الله أمر أمتي على ضلالة أبدا، اتبعوا السواد الأعظم، يد الله على الجماعة، من شذّ شذّ في النار»**[3].

وعن أمير المؤمنين (ع): **«الزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة. فان الشاذ من الناس للشيطان، كما أن**

---

(1) ميزان الحكمة (م، س)، ج1، ص406.

(2) كنز العمال (م، س)، ج1، ص205 (م، س)، ج1، 406.

(3) ميزان الحكمة 1: 406.

الشاذ من الغنم للذئب»[1].

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «**إن قوماً جلسوا عن حضور الجماعة فهمّ رسول الله (ص) أن يشعل النار في دورهم حتى خرجوا وحضروا الجماعة مع المسلمين»**[2].

وقد جعل الله تعالى في لقاء المؤمنين رحمة وبركة وخيراً، وجعل اللقاء والحوار من منازل رحمته وبركاته...

كما أن الشيطان يجعل من التباعد سبباً للنفور والقطيعة والخلاف.

واللقاء لا يتمّ من غير حوار عادة، فهما متلازمان من ناحية اللقاء. وقد رأينا بركات كثيرة في اللقاءات الأخيرة المعاصرة التي تمت في إيران بعد قيام نظام الجمهورية الإسلامية بين المذاهب الإسلامية فقد كانت هذه اللقاءات مصدر خير كثير في حياة هذه الأمة، تعارف خلالها بعضهم على بعض، وتحاببوا، ووجدوا فرصاً واسعة للتفاهم والتعاون، لم يكونوا يعرفوها من قبل... في هذه اللقاءات إرتفع كثير من اللبس والغموض الذي كان ينظر من خلاله بعضهم إلى بعض من قبل، واكتشفوا مساحات مشتركة واسعة جداً في الفكر والثقافة والمعرفة، كانوا يعدونها من قبل مما ينفرد بها بعضهم عن بعض.

(الجماعة) و(الجمعة)

إن اجتماع المؤمنين واللقاء بينهم أمر يحبّه الله تعالى، وما يحبّه الله يجعل فيه البركة والخير، ويجعله من منازل رحمته.

---

(1) نهج البلاغة، (م، س)، ص131.

(2) النوري، ميرزا حسين: مستدرك الوسائل، (لا، ط)، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، بيروت. ج6، ص450.

وهذا اللقاء، وما يستتبعه من الحوار يدخل في صلب التشريع.. فقد شرَّع الله في هذا الدين للمسلمين (الجماعة) و(الجمعة) و(الحج)..

ويدخل في (الجمعة) صلاة العيدين الفطر والأضحى.

وهذه الثلاثة (الجماعة، والجمعة، والحج) تجمعات إسلامية ثلاثة تجمع المسلمين من مختلف المذاهب والاتجاهات والاجتهادات.. ولا شك أن الحالة العبادية والذكر جزء لا يتجزأ من هذه الثلاثة... إلا أن حالة اللقاء والاجتماع أمر مقصود في هذه التشريعات الثلاثة من دون شك.

ورغم أن الإنسان يُقبل على صلاته في الخلوات أكثر من الإقبال عليها في الاجتماعات... مع ذلك كله يفضّل الإسلام إقامة الفرائض اليومية جماعة على الانفراد، وذلك نظراً لأهمية إلتقاء المؤمنين وتواجدهم في ساحة واحدة.

وقد بلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أن رسول الله (ص) هدد أقواماً كانوا مقاطعين لصلاة الجماعة في المدينة بأن يحرق بيوتهم، كما في الرواية.

روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن الصادق (ع): **أن أناساً كانوا على عهد رسول الله (ص) ابطئوا عن الصلاة في المسجد، فقال رسول الله (ص): ليوشك قوم يدعون للصلاة (يَدَعون الصلاة) في المسجد أن نأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم النار فنحرق عليهم بيوتهم»**[1].

---

(1) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج3، ص25، الحر العاملي، وسائل الشيعة ج5، ص376 نقلاً عن ميزان الحكمة، (م، س)، ج2، ص1648.

وكذلك الاهتمام بأمر (الجمعة) في الإسلام وتحشيد المؤمنين من كل منطقة في جامع عام لإقامة الجمعة، وقد روي عن الإمام الباقر (ع):

«صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإنّ ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض، من غير علة إلا منافق»[1].

واجتماع الحج هو الاجتماع الأوسع للامة كلها، تجتمع في موعد واحد ومكان واحد، لإقامة هذه الفريضة، وهو أوسع اجتماع يعرفه الناس على وجه الأرض.. يقيمه المسلمون في كل عام تلبية لأذان أبيهم أبي الأنبياء إبراهيم (ع) ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[2].

الجماعة والجمعة تجمعان كل الشرائح والمذاهب

وقد حرص الإسلام أن يحضر المسلمون بكل مذاهبهم واتجاهاتهم هذه الاجتماعات الثلاثة لأداء الفريضة اليومية وصلاة الجمعة وفريضة الحج مجتمعين.

وكان أئمة أهل البيت (ع) يؤكدون لشيعتهم حضور الجماعات والجمعات لأهل السنة.

عن الإمام الصادق (ع): **«من صلّى خلفهم كان كمن صلّى خلف رسول الله» (ص).**

وفي حديث آخر عنه (ع): **«إذا صليت معهم غُفِرَ بعدد من خالفك في قراءة البسملة وحضر الصلاة في المسجد».**

---

(1) وسائل الشيعة، ج5، ص4، نقلاً عن ميزان الحكمة (م، س)، ج5، ص426.

(2) سورة الحج: الآية 27.

وذلك أن الأحناف من أهل السنة يلغون البسملة في القراءة، على خلاف مذهب أهل البيت (ع) في اعتبار البسملة جزءً من كل سورة، إلا سورة التوبة.

ويشكو أحد الرواة إلى الإمام الصادق (ع) حاله في حضور صلوات جماعة أهل السنة يقول: إن لنا إماماً مخالفاً، وهو يبغض أصحابنا كلهم، فقال (ع): «**ما عليك من قوله، والله لئن كنت صادقاً لأنت أحق بالمسجد منه، فكن أنت أول داخل وآخر خارج، وأحسن خلقك مع الناس، وقل خيراً**».

ويقول الإمام الصادق لإسحاق بن عمار: «**يا إسحاق أتصلي معهم في المسجد؟ قال: قلت نعم، قال صلّ معهم فان المصلي معهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله**».



إن من الضروري تعبئة الجماعات والجمعات بحضور الشرائح الإسلامية المختلفة من كل المذاهب الإسلامية، وكسر الحواجز بينهم.

ومن الضروري أن يكون خطاب أئمة الجمعات والجماعات خطاباً تقريبياً وحدوياً توحيدياً، يكسب كل الفرق والطوائف الإسلامية، ولا يفرّقهم ولا يُنَفِّرُهم.

ومن الضروري تعبئة الحج بالحوار الهادف الموجه بين المسلمين في شؤونهم السياسية والثقافية والاقتصادية.

مساحات اللقاء والحوار

أهم مساحات اللقاء والحوار هي المساحة الثقافية والمعرفية والمساحة السياسية والمساحة الاقتصادية.

المساحة الثقافية والمعرفيّة

اللقاء، والحوار الموجّه في شؤون الثقافة والمعرفة يؤدي إلى تقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية في شؤون المعرفة والعلم، كالفقه وأصول الفقه والكلام والتفسير.

ويؤدي إلى اكتشاف مساحات مشتركة بين المذاهب الإسلامية في مختلف أبواب المعرفة، ويتبين لهم أن الخلاف في ما بين المذاهب الإسلامية في هذه المسائل لم يكن إلا خلافاً لفظياً، وهم متفقون على جوهر هذه المسائل.

كما يؤدي إلى التكامل والتلاقح العملي لدى الجميع.

وقد كانت هذه الطريقة مألوفة لدى العلماء وطلبة العلوم من المذاهب الإسلامية المختلفة في التردد على المدارس والحوزات العلمية المختلفة لتلقي العلم، رغم اختلاف المذاهب.. وكان لهذا الترافد العلمي والثقافي أثر كبير في إثراء المعرفة والثقافة الإسلامية وتكامل العلوم والمعارف لدى المسلمين.

المساحة السياسية

المساحة السياسية مساحة واسعة... وهذه المساحة اليوم أصبحت مساحة لهواة السياسة والإنتهازيين واللاعبين الدوليين في السياسة، وإن للسياسة لاعبين، يلعبون في هذه الساحة كما يلعب اللاعبون من هواة الشعبذة والمسرح.. ويقيسون العمل السياسي ويفهمونه ويقيّمونه بنفس المقاييس التي يفهم فيها الناس ألعاب التمثيل السينمائي والشعبذة.. يكذبون ويُكَذّبون حتى يصدقهم الناس، ويستخدمون بيوت أموال المسلمين بسخاء لكسب آراء الناس، ويبطلون الحقائق، ويحققون الزيف والكذب والباطل، بأدوات الكذب والتضليل والتغرير.

وللأسف أن الساحة السياسية في العالم اليوم تحكمها هذه العصابات، إلا ما ندر وشذّ، ولا نطيل في هذا الحديث، وسوف يطول موقفنا بين يدي الله تعالى يوم السؤال الأكبر والمحاسبة الكبرى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] تجاه هذه القضية.

فقد عرف الناس الظالمين، وسكتوا عنهم، وجاروهم وتعاونوا معهم، ولم يحركوا ساكناً، ولم يزعجوهم بموقف أو كلمة، وتركوهم يمرحون ويلعبون بمصالح هذه الأمة وقضاياها الكبرى، وينهبون ثرواتها، ويمكّنون أنظمة الاستكبار العالمي من بلاد المسلمين، إلا القليل النادر، الذين نهضوا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجابهوهم بكلمة الحق، وكسروا كبريائهم وأذلوا غرورهم.. وهؤلاء قلة في هذه الأمة، ولكنّها قلة مباركة.

والسبيل الوحيد إلى طرد هذه العصابات السياسية الانتهازيّة من الساحة الإسلامية السياسية هو حضور جمهور المسلمين في هذه الساحة، حضور إيمان ووعي وعطاء.

إنّ حضور الجمهور في الساحة يغيّب هذه العصابات، ويسلب منهم الأضواء التي يتألّقون بها، وتكشفهم وتعرّيهم.

وهذا الحضور عبادة، بحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه يطرد حملة المنكر من الساحة، ويفتح المجال للمعروف والعاملين به.

هذا الحضور عبادة، كما أن الصلاة والصيام عبادة، وهو من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

شريطة أن يكون هذا الحضور عن وعي وبصيرة، وليس حضوراً

---

(1) سورة الصافات: الآية 24.

غوغائياً انفعالياً، وبشرط أن يحمل هذا الحضور خصلة المقاومة والعطاء، وليس حضوراً واهياً ضعيفاً انفعاليّاً تفرّقه طلقات من الرصاص والغازات المسيلة للدموع.

وبشرط أن يكون هذا الحضور حضوراً وحدوياً، تتجسّد فيه وحدة الصف.

ويتم الحوار فيه على أساس مصلحة الإسلام الكبرى، ويتعامل الجمهور في هذه الساحة من منطلق (الأمة الواحدة)، ويتفقون فيها على موقف واحد ورأي واحد.

إنّ مثل هذا الحضور واللقاء والحوار عندما يعمّ الساحة الإسلامية، وينتشر في العواصم والحواضر والمراكز الإسلامية، يكون له دور كبير في توجيه قضايانا السياسية... ولست أريد أن أَشُطَّ في الخيال وأقول: أن حضور الناس في المساحة سوف يؤدي إلى تغيير شامل لأوضاعنا السياسية الفاسدة في العالم الإسلامي، ولكنني أقول أنّ هذا الحضور الواحد الشامل سوف يُعدّل كثيراً من قرارات الأنظمة السياسية الكبرى، مثل قرار (التطبيع)، وتبادل السلام بالأرض في فلسطين، والموقف من الإحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان والموقف من المسألة النووية الإيرانية، والموقف السلبي الذي اتخذته الأنظمة العربية من (حماس) في خلافها مع (منظمة التحرير الفلسطينية)، تبعاً للموقف الأميركي ـ الوربي ـ الإسرائيلي، والموقف من التأييد الأمريكي لإسرائيل، والرفض الأمريكي للمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين (حزب الله وحماس والجهاد)، والتفكيك بين (المقاومة) و(الإرهاب)، واحترام الأول وتبنّيه ونبذ الثاني ورفضه...

إنّ مثل هذا اللقاء والحوار في الساحة الإسلامية العريضة من أهم ضرورات المرحلة، شريطة أن نحصّن هذا اللقاء والحوار من

نفوذ الأنظمة واختراقاتها، فإن الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي، تملك من وسائل اختراق الساحة ما يهدّد وحدة الساحة ووعيها، ويؤدي إلى تفريقها وتضليلها، وقد شاهدنا في حياتنا السياسية المعاصرة نماذج كثيرة من هذا الاختراق والتضليل والتجهيل والتفريق.

شروط اللقاء والحوار

ولكي يكون هذا اللقاء والحوار نافعين يجب أن يتوفر فيهما الشروط التالية:

1 ـ تقديم مصلحة الإسلام العليا..

فقد تتدافع الأطراف الإسلامية فيما بينها، ولا يصلون إلى قناعة مشتركة، عند ذلك يجب عليهم أن يقدّموا المصلحة الإسلامية العليا على كل مصلحة.. وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قدوة لكل المسلمين في ذلك.. يقول (ع) فيما جرى عليه من بعد رسول الله (ص) في تقديم الآخرين عليه في أمر الولاية والخلافة وتنحيته عن حقه في هذا الأمر:

«فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تُزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم مُنحّوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي (عن البيعة)، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدْعُون إلى محق دين محمد (ص)، فخشيت إنْ لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم»[1].

(1) نهج البلاغة، (م، س)، ص339 ـ 340 كتاب رقم 62.

2 ـ حسن الظن في التعامل والحوار

إن سوء الظن إذا استولى على الناس في علاقة بعضهم ببعض أفسد اللقاء، وكانت نتائج اللقاء سلبية.. وإن سوء الظن آفة كل لقاء وحوار وعمل مشترك... وقد نهانا الله تعالى عن سوء الظن في دائرة العلاقات التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، بقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾[1].

إن تعاطي سوء الظن في العلاقة يفسد العلاقة ويلغيها.

3 ـ العقلائية في اللقاء والحوار:

عندما نكون في منعطف تاريخي حساس، كالمنعطف الذي تعيشه الأُمّة الإسلامية اليوم.

وعندما تكون الأمة الإسلامية ناهضة، وتخوض صراعاً مريراً في مواجهة الأنظمة المرتبطة بعجلة الاستكبار العالمي وأنظمة الاستكبار العالمي التي تقف خلف هذه الأنظمة.

وعندما تُحشّد أنظمة الاستكبار العالمي كل إمكاناتها لمواجهة التيار الإسلامي العظيم الذي يعم كل العالم الإسلامي.

وكان الموقف بيننا وبين الاستكبار العالمي موقفاً تاريخياً مصيرياً فاصلاً...

أقول عند ذلك فإنّ من أفدح الأخطاء في ظروف صعبة وعسيرة مثل هذه الظروف أن تغلب العاطفة والانفعال والشعار على مواقفنا السياسية ولقاءاتنا وخطابنا لجماهيرنا وحواراتنا المتبادلة داخل البيت الإسلامي الكبير.

---

(1) سورة الحجرات: الآية 12.

إن لغة العاطفة والانفعال والشعار، كما هو نافع في إثارة الهمم وإنهاض الجمهور يُمكنُ أن يتحول في بعض الحالات إلى ألغام سريعة الانفجار تُحَوّل الساحة إلى ساحات للسجال والجدال العقيم الضار.

ونتمنى، لو أن طرفاً أو جهة أو شخصاً أراد أن يستخدم هذه اللغة في إثارة التشنج في صفوف المسلمين، وتعكير صفو العلاقات الإسلامية داخل الصف الإسلامي... نتمنى أن يواجهه الآخرون بالعقلانية الإسلامية والدعوة إلى ما يأمرنا الله تعالى به من الاعتصام بحبل الله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ والنهي عن التفرقة ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

4 - الوعي السياسي

إن الحالة السياسية والإعلامية في العالم، والعلاقات السياسية والاقتصادية بين أنظمة الاستكبار العالمي، والأنظمة التابعة لها في العالم الإسلامي، والعلاقة بين السياسة والإعلام... حالات معقدة شديدة التعقيد، ويدخل في تكوينها عوامل غير مرئية كثيرة، وما يظهر على السطح من التصريحات والعلاقات لا يعبّر عن كل شيء...

أذكر في المصالحة التي تمت بين نظام عربي وإسرائيل بالوساطة الأمريكية، وتصافح زعيما الطرفين أمام أضواء الكاميرات في حضور الرئيس الأمريكي، فاجأ الرئيس الأمريكي المسؤول العربي بالسؤال التالي:

منذ كم كانت لكم علاقة وارتباط ولقاءات مع المسؤولين في إسرائيل؟

فقال المسؤول العربي الكبير مأخوذاً بهذه المفاجأة ممتعضاً من هذا الإحراج: منذ عشرين عاماً.

إن هذا السؤال والجواب يكشف عن الاحتقار الأمريكي لجملة من زعماء الأنظمة العربية الذين تحميهم أمريكا نفسها، ويحمون مصالحها، كما تكشف عن عمق الفساد السياسي في طائفة من الأنظمة العربية.

منذ عشرين عاماً يتعامل مع إسرائيل، ويتعاطى معها، ويلتقي بقادتها في لندن وواشنطن.. ولا يعرف الناس على سطح الإعلام السياسي عنه إلاّ لغة الشجب والتهديد لإسرائيل..!!

إن هذه الأنظمة السياسية، بين الواقع والتصريحات التي يقدمونها للإعلام، تشبه الكتل الثلجية العائمة على مياه البحار تسع أعشار منها غاطسة في الماء لا تُرى وعُشْرٌ منها فقط تظهر على سطح الماء...

إنّ هذه الأنظمة بين واقعها الغاطس في مستنقع العلاقة بأنظمة الاستكبار العالمي، والشطر الظاهر المسموع والمرئي منها في الإعلام تشبه هذه الكتل الثلجية.. ومن أفدح الخطأ أن نتعامل مع هذه الأنظمة من خلال الإعلام المرئي والمسموع، ومن خلال الخطب والتصريحات السياسية التي يطلقوها بين حين وآخر.

إن لقاءاتنا السياسية وخطابنا السياسي يجب أن يمتلك خلفية غنية من الوعي السياسي، والإحاطة بالظروف السياسية المعقدة، والمعرفة بالخلفيات السياسية التي تقع خلف المواقف والقرارات والتصريحات السياسية.

ومن دون هذا الوعي السياسي سوف يقع جمهورنا وساحتنا في تخبّط سياسي واسع... ونحن قد تحدثنا عن ضرورة الوعي السياسي وأهميته الكبيرة في هذه المرحلة... وعلى علماء المسلمين وخطبائهم ومثقفيهم والحركات الإسلامية إشاعة الوعي السياسي ونشره في الأوساط الإسلامية الشعبية.

5 ـ الحوار بالتي هي أحسن:

قد ينقلب الحوار إلى جدال عقيم، بل ينقلب إلى عائق يعيق حركة الأمة، وحجاب يحجب المسلمين بعضهم عن بعض، وقد يكون الحوار جسراً للتفاهم والتعاون والتلاقي في المساحات المشتركة السياسية والثقافية والاقتصادية لهذه الأمة، وذلك عندما يكون الحوار بالأسلوب الذي علّمنا الله تعالى بـ (التي هي أحسن)، وأقوم للعلاقة الحسنة والتفاهم بين المسلمين، يقول تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

ولا سبيل لدفع (نزغ الشيطان) في العلاقة بين أطراف هذه الأمة إلا أن يخاطب بعضنا بعضاً بأحسن ما نستطيع عليه من القول.

6 ـ تحصين اللقاء والحوار:

إن علينا أن نحصّن هذه اللقاءات والحوارات الإسلامية من نفوذ الأنظمة التي تقع تحت سلطان أنظمة الاستكبار العالمي واختراقها، فإنّ هذه الأنظمة تملك من وسائل الإعلام والاستخبار ما يمكّنها من اختراق هذه اللقاءات والحوارات، وإحباطها وإفسادها... ولكي نتمكن من تفعيل هذه اللقاءات واستثمارها يجب علينا أن نحصّن هذه اللقاءات من نفوذ هذه الأنظمة واختراقاتها.

(1) سورة النحل: الآية 125.

(2) سورة الإسراء: الآية 53.

أحاديث أهل البيت (ع) في ضرورة اللقاء والحوار

كان أهل البيت (ع) يوجهون شيعتهم واتباعهم دائماً إلى اللقاء والاجتماع بأهل السنة، والحضور معهم في جوامعهم، واجتماعاتهم، ومجالسهم، وندواتهم، وينهونهم عن الابتعاد عنهم، ويؤكدون لهم بضرورة التواجد في الساحة الإسلامية العامة، وحضور الجمعات والجماعات، وتوحيد المواقف في الحج،.ولم يردنا ـ ولا حديث واحد ـ عن انفراد أئمة أهل البيت (ع) في موقف من مواقف الحج عن الموقف العام الذي كان يحدده الحكام في تلك البرهة، لعامة المسلمين.

وقد تصدى بعض المنحرفين عن أهل البيت (ع) للدسّ في أحاديثهم (ع) لعزلهم وعزل شيعتهم عن الوسط الإسلامي الكبير.. وكانت هذه الأحاديث على أنحاء، منها أحاديث الغلو، ومنها أحاديث التحريف، ومنها أحاديث فيها تخليط في الفقه، ومنها أحاديث فيها انتقاص وتسقيط لأهل البيت (ع)، ومنها أحاديث في الطعن واللعن على خصومهم.

وكانوا يعملون لإشاعة هذه الأحاديث عنهم (ع) وقد روي عن الإمام الصادق (ع) في هذا المعنى : **«إنا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذّاب يكذب علينا، فيسقط صدق كلامنا بكذبه»**[1].

وعنه (ع) أيضاً: **«إن المغيرة بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي، فاتقوا الله، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا وسنّة نبيّنا»**[2].

---

(1) رجال الكشي: 305 الرقم 549.

(2) (م، ن)، ص195، ترجمة المنيرة بن سعيد، .

وروي عن يونس عن أبي الحسن الرضا (ع)، قال: «**إن أبا الخطاب كذّب على علي بن أبي طالب (ع). لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب، يدسّون من هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبدالله (ع) فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن**»[1].

وعن أبي الحسن الرضا (ع) في حديث إلى ابن أبي محمود: «**يابن أبي محمود، إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، جعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا**»[2].

وقد كان أئمة أهل البيت (ع) يعملون لكسر هذا الطوق عنهم وعن شيعتهم بتكذيب هذه الأحاديث، وفضح الوضّاعين الذين كانوا يضعون عليهم من الحديث ما لم يتحدثوا به، والتأكيد على رفض كل حديث يروى عنهم يخالف القرآن.

فكانوا يقولون: «**فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا وسنّة نبينا**»، «**فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن**»[3].

وكانوا يطلبون من فقهاء شيعتهم ورواة أحاديثهم أن يتحرّوا الأحاديث الصادقة المروية عنهم (ع)، ويحذروا ما وضعه النواصب والمنحرفون عنهم عليهم من الأحاديث المنتحلة، وكانوا يضعون لهم

---

(1) رجال الكشي(م، س)، ص224.

(2) الصدوق، محمد بن علي: عيون أخبار الرضا، (لا، ط) مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1984م ج1، ص303.

(3) بحار الأنوار (م، س)، ج2، ص250.

الأصول والقواعد العلاجية لمعرفة الأحاديث الصادقة، وكانوا يدعون شيعتهم للتعايش مع سائر الطوائف الإسلامية، والانفتاح عليهم، والتعاطي العلمي والثقافي معهم وحضور اجتماعاتهم وصلواتهم.

وكانوا لا يرضون لشيعتهم أن يعتزلوا الوسط الإسلامي العام، فهم جزء من هذه الأمة الكبيرة، واختلافهم عن أهل السنة في بعض الفروع والأصول، ومقاطعتهم للحكام الظلمة الذين كانوا يحكمون المسلمين في العصر الأموي والعباسي لم يكن يحمل معنى الاعتزال عن الساحة والانقطاع عنها.

وقد كان أئمة أهل البيت (ع) يعيشون معهم وفي أوساطهم، ويجتمع إليهم المسلمون من كافُة المذاهب والاتجاهات، ويحضرون مجالسهم، ويأخذون منهم العلم، ولو أحصينا أهل العلم الذين أخذوا العلم عن الإمام الباقر والصادق (ع) لوجدناهم أُمة كبيرة من أهل العلم، وكانت مجالسهم ومحاضرهم عامرة بفقهاء المسلمين وحملة الحديث النبوي وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد... وهذه الحالة يعرفها جيداً من يعرف حديث أئمة أهل البيت (ع) وسيرتهم، وهي تعبّر عن حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الإيجابي السليم لكل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية. في الوقت الذي كان أهل البيت (ع) يرسمون ويوضحون لشيعتهم وللمسلمين عامة الخط الفكري الصحيح في الأُصول والفروع بوضوح وصراحة وبشكل دقيق.

وفي أحاديث أهل البيت (ع) دعوة واضحة وصريحة إلى هذا الانفتاح مع المسلمين والتعايش الإيجابي والتواصل والتعاطف والتعاون معهم، وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت (ع) في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي

أسامة زيد الشحّام قال: قال أبو عبدالله (ع): «**أقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد (ص). وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برّاً أو فاجراً، وأن رسول الله (ص) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.**

صِلُوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فَيسُرّني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدثني أبي (ع) إنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أدّاهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان أنّه ادّانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[1].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبدالله الصادق (ع) كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال (ع) «**تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»**[2].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت له

---

(1) وسائل الشيعة (م، س)، ج8، ص398.

(2) وسائل الشيعة 8: 398، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة، الباب الأوّل، (م، ن) (ص، ن).

(الصادق (ع)): كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال: «**تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم**»[1].

وفي رواية أخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي قال: سمعت أبا عبدالله الصادق (ع) يقول: «**عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى، وأحضروا مع قومكم مساجدهم، وأحبّوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حقّ جاره**»[2].

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبدالله الصادق (ع): «**عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لا بد لكم من الناس، أن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لا بد لبعضهم من بعض**»[3].

---

(1) وسائل الشيعة (م، س) ج8، ص399.

(2) (م، ن) (ص، ن).

(3) (م، ن) (ص، ن).

ثالثاً ــ الأعمال والمشاريع المشتركة

قرأنا فيما سبق أن النقاط الثلاثة التالية من أفضل المناهج لمكافحة الفتنة الطائفية.. وهذه الثلاثة هي:

1 ـ الوعي والخطاب.

2 ـ اللقاء والحوار.

3 ـ العمل المشترك.

وقد تحدثنا فيما مضى عن النقطة الأولى والثانية، وها نحن نتحدث إن شاء الله عن النقطة الثالثة، وهي العمل المشترك، سواءً كان العمل في المجال العلمي والثقافي أم في مساحة العمل السياسي، أم في المساحة الاقتصادية.

والتجارب العديدة التي مارسها المسلمون في الآونة الأخيرة في المشاريع الاقتصادية والفقهية تؤكد هذا المعنى.

ونظراً للتحديات العظيمة التي يواجهها المسلمون اليوم، لا بد من مواجهة هذه التحديات بالمشاريع الإسلامية السياسية والاقتصادية والثقافية التي يشترك فيها عامة المسلمين من كل المذاهب والشرائح الإسلامية. فلم تعد الأعمال الفردية والتي تقوم بها طائفة من

المسلمين كافية لمقابلة هذه التحديات، فإن التحديات التي تواجهنا في ساحتنا أكبر من أن نقابلها بمثل هذه المشاريع.

إن مشاريعنا السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية يجب أن تكون بحجم الأمة كلها.. عندئذ تكون يد الله مع هذه المشاريع، وعليها، إن شاء الله تعالى.

وعندئذ تكون هذه المشاريع والأعمال قادرة على مقابلة التحديات القويّة التي تواجهنا في ساحة عملنا.

جدلية الشرعية والواقع:

وسوف أتحدّث عن واحدة من هذه التحدّيات التي تواجهنا في حياتنا السياسية والثقافية، ولا يتأتّى لنا مقاومتها وإحباطها إلاّ ضمن مشروع سياسي وثقافي كبير، وبتضامن إسلامي واسع على قدر سعة هذه الأمة.

أمامنا قضيتان متخالفتان ومتقاطعتان، في ساحة حياتنا ويتوجّب علينا أن نتعامل معها بالضرورة، وليس بوسعنا التشكيك في أي منهما، وليس بوسعنا الإعراض عن أي منها أو كليهما ومقابلته باللامبالاة.

القضية الأولى: وحدة الأمة الإسلامية

وليس بوسع أحد أن يشك في هذه الحقيقة، وقد تلوت عليكم قريباً قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

وهذه حقيقة من حقائق الوحي.

ووحدة الأمة بوحدة ولائها وبراءتها من غير شك ولا ترديد، وإذا تعددت الولاءات والبراءات تتعدد الأمة، ولا تبقى الأمة واحدة، كما تخبرنا بها سورة (الأنبياء) و(المؤمنون).

ولا يمكن فصل القيادة السياسية والنظام والقرار السياسي عن مسألة الولاء.

كما لا يمكن فصل التقاطعات والصراعات السياسية والعسكرية بين الأنظمة عن مسألة البراءة...

أقول إنّ وحدة الأمة بوحدة ولائها وبراءتها، فان الولاء للقيادة السياسية الصالحة للأمة تأتي في امتداد الولاية لله ولرسوله ولأولي الأمر.. يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

ووجود ولائين أو أكثر من ذلك - في عرض بعض - ينافي وحدة الأمة... فضلاً عما إذا كانت هذه الولاءات متعارضة فيما بينها، كما هو حاصل عادة في الأنظمة السياسية المتعددة الواقعة على خطوط سياسية متعددة.

فلا يمكن أن يتصّف ولي أمر المسلمين بالولاية والطاعة لمجموعة من الأمة، ولا يكون كذلك لمجموعة أخرى من أمة واحدة، وتجب على طائفة من الأمة طاعته، ولا تجب طاعته على طائفة أخرى.

أما الولاءات السياسية الطولية (التي يقع بعضها في امتداد بعض) فلا تنافي وحدة الأمة مهما تعددت وكثرت.

إذن لهذه الأمة، طبقاً لهاتين الآيتين الكريمتين من سورتي

---

(1) سورة النساء: الآية 59.

الأنبياء والمؤمنون قيادة واحدة صالحة.. وهذه هي الحالة الشرعية التي نطلبها في نظام الحكم والقيادة السياسية للعالم الإسلامي.

هذه هي القضية الأولى: (الشرعية).

القضية الثانية: قيام أنظمة متعددة من الحكم في طول العالم الإسلامي وعرضها...

وهذه الأنظمة ـ في الأغلب ـ لا تمثّل الحالة الشرعية، لأنها غير صالحة، وغير مؤتمنة على دين الناس ودنياهم، وغير منتخبة من قبل الناس، وإنما تُفرض على الناس بآليات عسكرية، أو عبر وسائل أنظمة الاستكبار العالمي... وهذه الأنظمة تفرض طاعتها والالتزام بقراراتها على الناس بالنار والحديد والعنف.. والتغرير والتجهيل الإعلامي.

ولا بد للناس من الالتزام بقرارات هذه الأنظمة: وهذا هو (الأمر الواقع) اللاشرعي.

وبين هذا (الأمر الواقع) و(الشرعية) تقاطع شديد ولكل منهما ثقافة، وسياسة، وقوانين، وأنظمة، وآليات، وقوة للتنفيذ.

هذه هي الجدلية القائمة بين (الشرعية) و(الأمر الواقع).

ما هو تكليف المسلم تجاه هاتين القضيتين (الشرعية المحظورة) و(الواقع المفروض)؟

(فلا يجوز) الاستسلام للأمر الواقع المفروض، وإلغاء الحالة الشرعية، و(لا يمكن) تجاوز الأمر الواقع المفروض بالقوة من قبل الأنظمة..

هذه هي الجدلية بين (ما لا يجوز)، و(ما لا يمكن) وهي جدلية قديمة في التاريخ الإسلامي.

فما هو موقف (الفقه الإسلامي) تجاه هذه الجدلية الصعبة؟

منهج أهل البيت (ع) الفقهي

إن منهج أهل البيت (ع) الفقهي تجاه هذه الجدلية في الفترة الطويلة التي عاشوها في العصر الأموي والعباسي، تتلخص في ثلاث نقاط:

1 ـ النهي عن إسناد هذه الأنظمة ودعمها، وتحريم (التعاون مع الظلمة)، فلا يجوز للمسلم أن يقوم بأي عمل فيه إسناد ودعم لهذه الأنظمة غير الصالحة بأي شكل، ولو كان ذلك بإعداد ليقة دواة للحاكم الظالم.. وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (ع) في هذا المعنى. (راجع أبواب حرمة التعاون مع الظلمة في مباحث المكاسب المحرمة). وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في وسائل الشيعة وسائر كتب الحديث والفقه.

2 ـ الأمر بمعايشة الواقع السياسي الاجتماعي؛ لأن الانفصال عنه بمعنى الخروج من ساحة الحياة والانتحار السياسي والاقتصادي.

ولا مناص للمسلمين من أن ينتظم أمر معاشهم ومعادهم ضمن هذا الواقع، ولا مناص لهم من أن يعايشوا هذا الواقع لتستقيم لهم أمور معاشهم ودينهم.. حتى لو يتطلب الأمر أن ينضمَّ المؤمنون إلى مواقع المسؤولية من هذه الأنظمة الفاسدة، ولكن لا لغاية إنعاشها ودعمها، وإنما لغاية تحقيق الضمان لمعيشة المؤمنين وخدمة الناس في معايشهم ومكاسبهم. (راجع الروايات الواردة في مستثنيات التعاون مع الظلمة وأبواب التقية).

فلا يستغني الناس عن المدارس والجامعات وجهاز الشرطة والمستشفيات والمؤسسات الخدمية وغيرها وكل هذه المؤسسات

مؤسسات قائمة ضمن هذه الأنظمة الفاسدة... لا حيلة للناس عنها فيجوز الدخول في هذه المؤسسات لخدمة الناس ويجوز الاستفادة من هذه المؤسسات، ومن دون ذلك تتعطل حياة الناس، والله تعالى لا يريد تعطيل حياة الناس.

وبين الأمر الأول (المحظور) والأمر الثاني (السائغ) فرق واضح.

3 ـ العمل على تحويل هذا الواقع الفاسد إلى نظام صالح وقيادة صالحة وقوانين وتشريعات صالحة.

وهذه النقطة الأخيرة تختلف من مجتمع إلى مجتمع فقد يتم ذلك عن طريق ثورة مسلحة، وقد يكون ذلك عن طريق الترحيل الثقافي والتبليغي للناس، وقد يكون بالوسائل الديمقراطية الحديثة، التي تمكّن الأكثرية الصالحة من الوصول إلى مواقع الحكم وتغيير الحكم إلى نظام صالح وقيادة صالحة، بصورة سليمة، أو غير ذلك من الوسائل والآليات. (راجع روايات باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبواب الجهاد).

وهذه ثلاثة مشاريع عمل إسلامية سياسية تتطلب مشاركة عامة من المسلمين، من كل المذاهب والفرق والشعوب الإسلامية التي تعاني من سلطة الحكومات الظالمة:

1 ـ مقاطعة الأنظمة الفاسدة، وتحريم دعمها وإسنادها، ووجوب عزل هذه الأنظمة عن الأمة، والتشهير بها وتسقيطها.

2 ـ المشاركة الإيجابية في كل مسالك الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والنفوذ إلى مواقع مختلفة من الحكم بهذه الذهنية ولهذه الغاية.

3 ـ مشاريع أسلمة الأنظمة، وإقامة الدولة الإسلامية على أسس

شرعية وترحيل الحالة السياسية إلى قيام حكومة عالمية إسلامية صالحة، كما وعدنا الله تعالى في كتابه.. وهذا المشروع يختلف من بلد إلى بلد ومن حالة سياسية إلى حالة أخرى، ولا يخضع لوصفة سياسية أو حركية واحدة.

المشروع السياسي الإسلامي

الأنظمة في العالم الإسلامي ـ في الغالب ـ غير صالحة، ولا يمكن الاعتماد عليها في تقرير الموقف الإسلامي من القضايا السياسية الكبرى في العالم الإسلامي.. ومن الواضح أن المواقف الرسمية للأنظمة تجاه القضايا الكبرى تبقى خاضعة لتأثير الدول الكبرى، وليس بوسع هذه الأنظمة أن تتجاوز الخطوط الحمراء التي ترسمها دول الاستكبار العالمي...

نعم هناك مساحات صفراء يتحرك عليها هؤلاء الحكام.. وقد تكون هذه الحركة مخالفة لقرارات الدول الكبرى...

أما الخطوط الحمراء، فليس بوسع هذه الأنظمة تجاوزها، مهما كان الثمن الذي تدفعه هذه الأنظمة.. مثل النفط، فليس بوسع هذه الأنظمة أن تستخدم النفط في قضايا الأمة السياسية، والعكس حاصل فعلاً، فإن الدول الكبرى ومجلس الأمن يستخدمان العامل الاقتصادي سلاحاً قاطعاً في قراراتها السياسية، وفي عقوبة الأنظمة التي تتجاوز الخطوط الحمراء، في حين لا يجرأ حكامنا، أو لا يملكون، في أكثر مناطق العالم الإسلامي تجاوز الخطوط الحمراء، فيما يتعلق بأنظمة الاستكبار العالمي.

ومهما يكن السبب، فإن الساحة الإسلامية الواسعة لا تمتلك اليوم مقومات القرار، والموقف السياسي الراشد الإسلامي، إلا ما يصدر بصورة عفوية من مواقف وقرارات يتبناه جمهور المسلمين في

مختلف أقاليم العالم الإسلامي، كما رأينا ذلك في التعاطف الشديد مع مواقف المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان (حزب الله)، من جانب جماهير المسلمين في كل أقاليم العالم الإسلامي، وفي المهاجر الغربية، ورغم أن الأنظمة العربية ـ في الغالب ـ كانت ممتعضة من انتصار المقاومة وما سجلتها من انتصارات باهرة خلال 33 يوماً إلا أن تيار التضامن والتعاطف الإسلامي مع حزب الله كان أقوى من أن تعاكسها الأنظمة وأدواتها الإعلامية المسخرة لخدمة مواقفها السياسية.. ولكن هذه الأنظمة تمكّنت أخيراً من إبراز كراهيتها لانتصار حزب الله في الاصطفاف الواسع الذي قامت به إلى جانب فؤاد السنيورة وجعجع والحريري وجنبلاط في إفشال مشروع حكومة الوحدة الوطنية التي دعت إليها المعارضة.. وفي مقدمتهم حزب الله. ولولا التصرف العقلائي لحزب الله في هذا الموقف المعارض لاستئثار الأقلية بالحكم في لبنان، لكانت العاقبة حرباً أهلية واسعة في لبنان، إلا أن (حزب الله) آثر ممارسة الاعتراض، بصورة سلمية، حتى عندما كانت الحكومة تقابل المعارضة بالعنف.. وكفى الله اللبنانيين القتال.

ومهما يكن من أمر فلا بد للساحة الإسلامية الكبرى من أدوات نابعة من إرادة الأمّة ومن عمق الساحة لتنضيج القرار السياسي الذي يهم الأمة ـ كلها ـ ولتوحيد الرأي والموقف السياسي في القضايا الكبرى، وتعميمها على كل الساحة الإسلامية، وتحشيد الرأي العام الإسلامي لإسناده والوقوف إلى جانبه، وتفعيله في الساحة من خلال المسيرات والاحتجاجات والهتافات والإعلاميات والآليات المشاعة التي يمتلكها الشارع للتعبير عن موقفه ورأيه واعتراضه واحتجاجه وحبه وبغضه.

ومن دون وجود مشروع سياسي ـ مثل هذا المشروع ـ ينضّج الرأي السياسي الراشد الناضج الموحّد، تبقى الساحة معرضة لأمواج

الفتن السياسية، وضغوط وسائل الإعلام الرسمية التي تجعل من الحق باطلاً، ومن الباطل حقاً، وتقرّب البعيد، وتبعّد القريب.

وتبقى الساحة الإسلامية تتخبط بين اختلاف الآراء والمواقف، والفتن، والضغوط الإعلامية.

ولكي تسلم الساحة الإسلامية الكبرى من هذا التخبّط لا بد من مشروع سياسي إسلامي كبير، خارج حوزة نفوذ هذه الأنظمة، تمارس هذه المسؤولية في تنضيج القرار والموقف الإسلامي وتوحيده وتعميقه وتفعيله في الساحة.

ولا بد أن يمثّل هذا المشروع السياسي كل الشرائح والمذاهب والأقاليم الإسلامية تمثيلاً صادقاً حقيقياً، ليكون لرأي هذا التجمع الإسلامي، النفوذ والتأثير الفعلي على كل الساحة الإسلامية.

ويكون مركزاً لتنضيج القرار الإسلامي الراشد الذي تتبناه الساحة الإسلامية كلها، في المسائل الأم الكبرى في العالم الإسلامي، مثل قضية القدس، والمسجد الأقصى، والقضية الفلسطينية، والاحتلال الإسرائيلي لأجزاء واسعة من أراضي الوطن الإسلامي من سورية ومصر والأردن ولبنان، ومثل المشكلة الصومالية، وتدخل القوى المتعددة الجنسيات في دارفور، والمشروع الإيراني النووي السلمي. والاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق، والموقف الأمريكي المعادي للقضية الفلسطينية، والداعم لإسرائيل، والموقف البريطاني، بل الاتحاد الأوروبي من دعم المرتد سلمان رشدي، والموقف الروسي المتعنت من الولايات الإسلامية كالشيشان، وقضية الصحراء المغربية، واضطهاد الأنظمة في العالم الإسلامي لأبناء الحركة الإسلامية، كما في الجزائر وتونس ومصر، وكما في العراق في عهد الطاغية، ومثل الصراع الفلسطيني ـ الفلسطيني بين حماس وفتح،

والدعم الإسرائيلي والأوربي والأمريكي والعربي لفتح، وتضييق الحصار على غزة وحماس إقتصادياً وسياسياً، وعزل حماس عزلاً سياسياً كاملاً... وأمثال ذلك، والتخريب الواسع الذي قامت به إسرائيل للبنان، انتقاماً لانتصار حزب الله عليها في الحرب التي دارت بينها وبين حزب الله في جنوب لبنان، وسكوت الدول الغربية ـ الأوروبية والأمريكية برمتها تجاه هذا العدوان السافر على لبنان، ودعم الموقف الإسرائيلي بشكل مطلق بكل أشكال الإسناد والدعم... وأمثال ذلك.

وقد يتساءل أحد عن الصيغة العملية لهذا المشروع السياسي... فأقول : إنني لست بصدد عرض صيغة محددة لهذا المشروع السياسي... يمكن أن يكون على هيئة مؤتمر دوري لأهل الحل والعقد من المسلمين، ويمكن أن يكون بصيغة أخرى... وأيّاً ما تكون الصيغة العملية لهذا المشروع، فهو مركز سياسي، يمثل الأمّة الإسلامية، بعرضها العريض، في تنضيج القرارات والتوصيات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وبلورتها وتقديمها في الأمور التي تهمّ الأمّة، ويكون هذا المركز في مقابل مراكز القرار الرسمية للأنظمة، يعبّر عن إرادة الناس وانتمائهم وهويتهم الإسلامية... وهو أمر قائم، فعلاً، في بعض الحدود، ولكن يحتاج إلى تثبيت، وتطوير، وتوسعة، وتعديل، وتقنين، وتبني من قبل المسلمين.

تساؤلات حول هذا المشروع:

وقد يثير أحد حول هذا المشروع التساؤلات التالية:

1 ـ أين يمكن إقامة هذا المشروع السياسي المستقل عن الإرادة الأمريكية ـ الغربية، وأمريكا تقول اليوم للسحاب أينما تذهبين فانك تمطرين في مساحة نفوذي وسلطاني؟

2 ـ ما جدوى رأي هذا المركز السياسي إذا كان لا يملك آلية التنفيذ في مقابل قرارات الأنظمة التي ينفذها أصحابها بالإرهاب والإعلام؟

3 ـ وكيف يمكن عزل رأي هذا المركز أو توصياته، عن تأثير ونفوذ الأنظمة ودول الاستكبار العالمي في هذه الدنيا المتشابكة المتداخلة؟

والجواب عن **السؤال الأول**:

إن أرض الله واسعة، ونحن لدينا مناقشات جوهرية في صدقية النفوذ الأمريكي الكوني المطلق، ليس هنا مجال بسط الكلام فيها.

وعن **السؤال الثاني**:

أقول إن رأي هذا المشروع وتوصياته يكون مدعوماً بالرأي العام الإسلامي، وسوف يكون له دور واضح في تعديل القرارات السياسية للأنظمة إن لم تكن قادرة على إلغائها.

وعن **التساؤل الثالث**: لا ننفي إمكانية نفوذ الأنظمة ومن ورائها أنظمة الاستكبار العالمي إلى صلب هذا المركز وآرائه وتوصياته، ولكنه على كل حال إمكانية محدودة وليست مطلقة، ولا يمكن أن يحقق أي مشروع سياسي في هذه الدنيا المتداخلة المتشابكة غايته بصورة مطلقة.

وبعد فإننا نرى أن أمثال هذه المشاريع طموحات سياسية واقعية، يمكن أن نسعى إليها وليست ضرباً من الأحلام في واقعنا السياسي المعاش.

المرجعية السياسية للعالم الإسلامي:

نحن اليوم أمة فاعلة قوية على وجه الأرض. ولهذه الأمة ثقل كبير في المعادلات السياسية، وحضور واسع في القضايا السياسية

ذات الشأن بالحالة الإسلامية خصوصاً، وبالحالة الكونية عموماً.

ورغم أن أكثر الأنظمة الحاكمة على العالم الإسلامي تعمل لتشتيت هذه القوة الكبرى على وجه الأرض، لكن تبقى الأمة الإسلامية التحدي الأكبر للغرب. والذين يقرءون التاريخ والمستقبل من المنظّرين في الغرب يفهمون هذه الحقيقة، وينذرون أنظمة الاستكبار الغربي من هذا العملاق الذي بدأ ينهض من سباته في القرن العشرين.

وفي ضوء هذا الفهم نقول:

1 - إن الحقائق المتقدمة في نهضة الأمة بعرضها العريض لا يمكن أن تخفى على مراكز الرصد الاستكباري في الغرب.

2 - ولا بد أن تلقى هذه الأمة تحديات صعبة من ناحية الغرب لإحباط المشروع الإسلامي الكوني الكبير.

3 - ولا تخصّ هذه التحديات إقليماً أو قوماً ومذهباً من المذاهب، وإنما تعمّ الأمة الإسلامية برمتها لأن هذه الأمة هي التربة الصالحة للمشروع الكوني الذي يخبرنا به الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] والذي يتنبّأ به المنظرون في الغرب.

4 - إذن المسلمون جميعاً في مواجهة صراع حضاري وعسكري وسياسي وثقافي قاس، من أقسى ما يعرفه تاريخ الإنسان من الصراعات الحضارية السياسية، والعسكرية، شئنا ذلك أم أبينا.

والمطالبة بالمعايشة السلمية، وشجب الحروب والصراعات لا

---

(1) سورة الأنبياء: الآية 105

يعفينا من هذه المعركة.. ولسنا نحن الذين ندفع الغرب إلى مثل هذا الصراع، وإنما العكس هو الصحيح، الغرب هو الذي يدفعنا إلى مثل هذه المعركة... فان الكيانات السياسية والعسكرية والثقافية في الغرب يرون أنهم قد وصلوا إلى نهايات التاريخ، والعاقبة التي آل إليها أمر الاتحاد السوفيتي ليس ببعيد عنهم، والقوانين والسنن التي آلت إلى سقوط الاتحاد السوفيتي هي التي تؤول بهم إلى تلك العاقبة. وهم يدافعون عن أنفسهم في معركة مصيرية بالنسبة لحضارتهم وكيانهم الاقتصادي والسياسي والعسكري، ومن الطبيعي أن يكون هذا الصراع أشرس صراع يعرفه الإنسان، لأنه صراع على الموت والحياة.

5 ـ ومن أفدح الخطأ أن ندخل هذا الصراع من غير الإعداد المتكافئ لهذه المعركة الحضارية، ومن غير الإعداد لآليات هذا الصراع.. والدخول في مثل هذه المعركة من غير الإعداد المتكافئ لها يعادل الفشل والهزيمة فيها... يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] وليست القوة كلها السلاح وإن كان السلاح من مقومات ساحة القتال إلا أن دائرة الإعداد الذي يأمرنا به الله تعالى أوسع من السلاح.

6 ـ ومن أهم الآليات التي تُعِدُّ هذه الأمة لدخول مثل هذه المعركة التي نتوقعها كل حين، بل نعايشها اليوم، دون أن ننتبه لها.. في مقدمة هذه الآليات (المرجعية السياسية الواحدة للأمة الإسلامية)... فليس من الممكن أن تدخل هذه الأمة صراعاً سياسياً وحضارياً واسعاً، وتواجه تحديات كثيرة، دون

(1) سورة الأنفال: الآية 60.

أن تمتلك الأمّة (مرجعية سياسية)، توحّد قرارها وموقعها وصفّها.

إن وحدة الأمة ووحدة القرار السياسي لا تتحقق إلا من خلال الآليات التي أعدّها الله تعالى لذلك، وفي مقدمة هذه الآليات المرجعية السياسية التي يسميها الفقهاء بـ (ولاية الأمر).

يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

7 ـ و(الموقع الأول) و(الموقع الثاني) الذين تحدّثنا عنهما مؤسستان إسلاميتان للأمة الإسلامية كلها تتكاملان، تيؤدي الأولى دور الشورى وتنضيج القرار السياسي الذي تشير إليه آية الشورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1] وتقوم الثانية بدور (الولاية السياسية) في حياة المسلمين.. تنفيذاً لقوله تعالى:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

في المساحة الاقتصادية:

إن عملاً واسعاً يجري اليوم لإلحاق أسواق العالم الإسلامي ومصادر ثرواته الطبيعية بشبكة العولمة الاقتصادية، وهو أمر حاصل بالفعل، ولكن الحركة التي تقوم بها الأنظمة في العالم الإسلامي هي إلحاق أسواقنا في العالم الإسلامي وثرواتنا الطبيعية بشبكة العولمة الاقتصادية بشكل كامل.. وهذا الأمر إذا تم يجعل من حركتنا

(1) سورة الشورى: الآية 38.

(2) سورة المائدة: الآية 55.

الاقتصادية حركة تابعة لاقتصاد الدول الصناعية الكبرى، وتجعل من أسواقنا معرضاً ومحلاً لاستهلاك ما تنتجه المصانع في الدول الصناعية الكبرى، وتجعل مصادرنا الطبيعة للثروة مثل النفط والكبريت والصلب والحديد والقطن وقصب السكر والمطاط والتمور مصدراً لتموين المعامل والمصانع في الغرب.

ونتحول من موقع الإنتاج والاكتفاء الاقتصادي إلى مركز لتموين المصانع في الدول الصناعية الكبرى بالمواد الخام التي تحتاجها هذه المصانع ومحلاً لاستهلاك ما تنتجه هذه المعامل.

وهذه العاقبة أسوأ عاقبة اقتصادية للعالم الإسلامي، وتؤدي هذه التبعية الاقتصادية إلى تبعية سياسية خالصة، وانهيارات اقتصادية واسعة كما حصل لجنوب شرق آسيا قبل سنين، وتفقدنا حالة الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد، بشكل كامل.

وكما يستخدم الغرب الآلة الصناعية والاقتصادية في تحقيق (التبعية السياسية) في العالم الإسلامي بشكل واسع، كذلك يستخدم الغرب المقاطعة الاقتصادية والحظر الاقتصادي لإخضاع أنظمة العالم الإسلامي لإرادتها السياسية، كما حصل ذلك لإيران وليبيا وسوريا والسودان... عندما امتنعت من تنفيذ إرادتها.

وقد كان بوسع العالم الإسلامي أن يستخدم الآلة الاقتصادية، مثل تصدير النفط في تعديل بعض المواقف الغربية المتطرفة عموماً والأمريكية خصوصاً تجاه العالم الإسلامي، مثل الجنوح المتطرف إلى جانب إسرائيل، والوقوف إلى جانب إسرائيل في كل مراحل عدوانها على فلسطين ولبنان. والتشديد على إيران بسبب محاولاتها لتخصيب اليورانيوم، والوصول إلى مرحلة استخدام الطاقة النووية لإنتاج الكهرباء وسائر الغايات السلمية، والسكوت عن إسرائيل ومفاعلاتها النووية وترساناتها التي تختزن 200 رأساً نووياً جاهزاً للتفجير والعدوان، كما تقول بعض المؤسسات العسكرية.

لو أن المسلمين كانوا يستخدمون الآلة الاقتصادية في تعديل المواقف السياسية الغربية المتطرفة تجاه العالم الإسلامي لتغير وجه العلاقات الإسلامية ـ الغربية، ولم يتمكن الغرب من أن يمارس هذا النفوذ الواسع في العالم الإسلامي، ولم يسع الغرب أن يستهتر بهذه الصورة بكل القيم الدبلوماسية والسياسية في علاقاته بالعالم الإسلامي.

ولكن ما الحيلة إذا كان حكام العالم الإسلامي في الغالب لا يجرءون على التطوّل على الإرادة السياسية الغربية، وبشكل خاص الإرادة السياسية الأمريكية، ولا يمتلكون الشجاعة الكافية لاتخاذ أي قرار سياسي أو اقتصادي يعارض مصالح أنظمة الاستكبار العالمي، ويتجاوز الخطوط الحمراء المرسومة لهم.

إن حركة غاضبة عفوية قامت بها جماهيرنا في مقاطعة البضائع الدانماركية، عندما أساءت صحيفة دانمركية إلى رسول الله (ص)، وامتنعت الدانمارك من الاعتذار إلى المسلمين ومعاقبة الصحيفة، كان لها تأثير كبير في تعديل موقف الحكومة الدانمركية والحكومات الاسكندنافية، التي وقفت إلى جانب الدانمارك في حينه.

إن الموقف الصحيح في هذه المسألة الخطيرة هو الحضور المليوني الموحّد في الساحة، والهتاف بمقاطعه العولمة الاقتصادية الزاحفة إلى العالم الإسلامي، والمطالبة باستخدام الآلة الاقتصادية في قضايانا السياسية الأُم، والمناداة بتحرير أسواقنا من سيطرة البضاعة التي تصدرها إلينا الدول الصناعية الكبرى. والدعوة إلى تحرير مصادرنا الطبيعية للثروة وإنتاجنا الزراعي والحيواني من نفوذ الدول الكبرى، والمناداة بالوصول إلى حالة الاكتفاء الذاتي، والتشهير بالأنظمة والحكام الذين يستخدمون مواقعهم في الحكم لتمكين النفوذ الاقتصادي الغربي والشرقي (الاستكباري) من أسواقنا

ومصادرنا الطبيعة، ودعوة الجمهور إلى استخدام المقاطعة الاقتصادية عندما يتطلب الأمر، ويتقاعس الحكام ويجبنون عن اتخاذ القرار الاقتصادي المناسب.

إن الحضور الواعي القوي للأمة في الساحة الإسلامية، في كل المراكز والحواضر والعواصم الإسلامية، يؤدي بالضرورة إلى تعديل قرار كثير من الأنظمة والحكام الذين يحكمون العالم الإسلامي، كما يؤدي إلى تعديل القرارات الاقتصادية والسياسية لدول الاستكبار العالمي تجاه العالم الإسلامي وتخفيف الضغوط السياسية والاقتصادية عليه.